

وليم شير

قيام وسقوط الرايخ الثالث

«نهاية دكتاتور»

الجزء الأول

مندوب المرسلة
جرجيس فتح الله

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي ٥٥/٥S - اربيل- كُردستان العراق

ص.ب رقم: ١

وليم شيرر

قيام
و

سقوط الرايح الثالث

« نهاية دكتاتور »

الجزء الأول

فقد إلى العربية

جرجيس فتح الله

اسم الكتاب: قيام وسقوط الرايخ الثالث «نهاية دكتاتور» - الجزء الأول
تأليف: وليم شايرر
نقله الى العربية: جرجيس فتح الله
من منشورات ناراس رقم: ١٧٠
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
تنضيد: دار ناراس
تصحيح: شاخوان كركوكي
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الأولى: مطبعة وزارة التربية - أربيل ٢٠٠٢
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في أربيل: ٤٩٦ / ٢٠٠٢

تاريخ التأليف ١٩٥٩

الطبعة الأولى ١٩٦٠

الطبعة الرابعة عشرة: آب ١٩٦١

"طبع في الولايات المتحدة الأمريكية"

الترجمة تمت بين ١٩٦٦/٤/٩ و ١٩٦٦/٩/٤

في سجن بغداد المركزي

ملاحظة الناشرين

يعرض هذا الكتاب لأول مرة قصة إمبراطورية هتلر بكل تفاصيلها ودقائقها. وهي واحدة من أهم قصص التاريخ تفرغ لكتابتها واحد من أعظم المثقفين المختصين. لم يسبق لإمبراطورية جبارة أن خلّفت كما خلّف الرايخ الثالث أكاداساً من الوثائق والمستندات للمؤرخين والمنتبعين، حول قيامها وإنهيارها. وحسبنا أن نذكر أن قيام الحلفاء بطلب الإستسلام دون قيد أو شرط، يعدّ طيّ آخر صفحة من صفحات القتال المرير وقبل تمكن النازيين من إتلاف وثائقهم وإحراق أضابيرهم - قد زدنا بمستمسكات يمكن إحساب تفاصيلها بالساعات عن الكابوس الرهيب الذي نشرته إمبراطورية هتلر.

كان (ويليام شايرر) الذي ظل يرصد النازيين ويكتب عنهم منذ العام ١٩٢٥، قد تفرغ لخمس سنوات وستة أشهر يغربل هذه الوثائق وينخلها نخلًا ليستخلص منها ومن التقارير الصحفية عن الأحداث وقت وقوعها في ألمانيا وأوروبا معلومات مستفيضة طريفة عن فترة أربعين عاماً أو تزيد- ليصنّف منها هذا التأريخ الوثائقي الدقيق. لفصل من أشدّ فصول تاريخ البشرية هولاً وإرهاباً. في هذا الكتاب نجد قصة هتلر في حبّه وسجنه وتعلقه بفنون الحرب وعنقه الجنوني الإنتحاري الذي أدّى به الى تخريب بلاد طالما إدعى بأنه أحبها حب العباد.

وفي هذا الكتاب تجد أيضاً وثائق هيئة أركان الحرب الألمانية العليا وأحوال معسكرات الإعتقال والإرهاب البربري اللاساميّ وتدهور قيم الشعب الألماني. والمقاومة الداخلية المتمثلة في المؤامرات التي حيكت للإطاحة بالنازية ولم يكن يُعرف عنها من قبل إلا القليل.

ونجد فيه أيضاً تفاصيل مدهشة مثيرة عن الميثاق السوفياتي-النازي للعام ١٩٣٩، والمكائد التي دُبّرت لإسقاط الجنرالات الألمان الكبار والمجهدات المضحكة المخجلة التي بُدلت لإسكات هتلر بإشباع أطماعه الأشعبية وفشل ألمانيا في غزو إنكلترا. وخطط هتلر لإختطاف الدوق وندسور وزوجته. الى مئات من الوقائع السرية المتعلقة بالحرب.

مقدمة المؤلف

عشت وعملت في بلاد الرايخ الثالث طوال النصف الأول من حياتها القصيرة أرقب عن كذب (أدولف هتلر) وهو يفرض دكتاتوريته على هذا الشعب الذي حارت فيه العقول، ثم يقوده الى الحرب والفتوح. على إن تجاربي الشخصية هذه لم تدفعني الى تأليف هذا الكتاب لو لم تزودني نهاية الحرب العظمى الثانية بحافز فريد من نوعه في التاريخ.

هذا الحافز هو وضع اليد على أغلب الوثائق والمخابرات السرية للحكومة الألمانية ولكل أقسامها، ومن ذلك وثائق وزارة الخارجية، والجيش والأسطول وسجلات الحزب النازي ووثائق الكشتاپو (شرطة هاينريخ هملمر السرية)، والحق أنه لم يحدث أن وقع كنز عظيم مثل هذا في أيدي أي مؤرخ معاصر. فإلى هذا الزمن كانت أرشيفات الدول المعظمة تظل في حرز حرز ولايكشف عن سرها عندما تهزم في حرب أو يطوح بنظام حكمها كما حصل في ألمانيا السنة ١٩١٨ وروسيا في ١٩١٧. فلم تنشر الحكومات الجديدة منها إلا ما يخدم مصالح النظام الذي جاء على أنقاضها.

إن الإتهيار السريع الذي حاق ببناء الرايخ الثالث في ربيع ١٩٤٥ أدى الى تسليم أكداش هائلة من الوثائق السرية فضلاً عن مواد أخرى لا تُقيم بثمن كاليوميات الخاصة والمحاطرات الشخصية ونصوص الخطب السرية جداً ومحاضر المؤتمرات السرية والمراسلات الملحقة بها. بل هنالك ملخصات المكالمات التلفونية بين زعماء النازي وأقطابهم كانت تلتقطها دائرة خاصة في وزارة الطيران إستحدثها (هرمان غورنك).

كان الجنرال (فرانز هالدر Franz Halder) يحفظ يومياته القيّمة جداً بطريقة الإختزال المسماة Ga-belsberger ولم يكن يكتفي بتدوينها يوماً فيوماً بل ساعة فساعة خلال نهاره. وهي والحق يقال مصدر فريد للمعلومات في الفترة الواقعة ما بين ١٤ آب ١٩٣٩ وحتى ٢٤ أيلول ١٩٤٢، ويمثل الزمن الذي قضاه رئيساً لهيئة الأركان العامة للجيش الألماني، بإتصال مباشر يومي بهتلر وغيره من أقطاب النازي. وهي أفصح يوميات وأصرحها وأحفلهما بالحقائق.

على أن ثم مذكرات لاتقل عنها قيمة كيوميات الدكتور جوزف غوبلز Dr. Joseph Gobbels وزير الدعاية والصدیق الحزبي الحميم لهتلر. ومذكرات الجنرال ألفريد يودل Alfred Yodl مدير دائرة الحركات في القيادة العليا للقوات المسلحة O.K.W. وهنالك أيضاً سجل الوقوعات اليومية للقيادة نفسها، ويوميات قيادة الأسطول العليا. والحق يقال أن الأضاير الستين ألفاً - وهي مجموعة سجلات الأسطول الألماني التي وقعت غنيمته حرب في شلوس تامباخ Schloss Tambach قرب كوبورج Coburg تحوي فعلاً كل الجفريات والرموز والمذكرات ورسائل مختلف قطع الأسطول ويومياتها من نيسان ١٩٤٥ وقت وضع اليد عليها، فنازلاً حتى ١٨٦٨ وهو تاريخ إنشأ أسطول ألمانيا الحديث.

أما وثائق وزارة الخارجية الألمانية التي تزن (٤٨٥) طناً فقد غنمها الجيش الأمريكي الأول : بجمعها من مختلف القلاع والمناجم في جبال (الهارز Harz) قبل إحراقها بوقت وجيز تنفيذاً للأوامر الصادرة من برلين. هذه الوثائق تتعدى فترة حكم الرايخ الثالث الى فترة النظام الجمهوري (جمهورية فايمر Weimer) وتصل الى مبدأ الرايخ الثاني أيام بسمارك Bismark. بقيت أطنان الوثائق النازية مختومة مخزونة في مستودع جيش الولايات المتحدة الكبير في مدينة ألكساندريا - بفيرجينيا. ولم يبد من حكومتنا ما يدل على إهتمامها بفتح الصناديق المحكمة الختم للبحث عن معلومات تاريخية فيها. وبعد مرور عشر سنوات على وقوعها فُضت أختامها ١٩٥٥ والفضل في هذا يعود الى (جمعية التاريخ الأمريكية) وسخاء مؤسستين علميتين خاصتين. وهنا بدأت مجموعة صغيرة جداً من الباحثين تساعد زمرة أصغر منها من الكتبة والموظفين وبقليل من المعدات والأدوات تتولى فحصها وتصويرها قبل أن تقوم الحكومة بإعادتها الى ألمانيا، إذ كانت في عجلة شديدة من أمرها. ولقد كانت تلکم الأوراق ذات قيمة عظيمة.

قيِّمةً والحق يقال! فهناك "المحضر الأمني" المكتوب بطريقة الإختزال لمؤتمرات هتلر الواحدة والخمسين حول الموقف الحربي اليومي كما كان يبسط وتتم المداولة فيه من مقر قيادة هتلر. وهناك أيضاً النص الكامل لمداوات أمير الحزب النازي مع قادة ومستشاري الحزب أثناء الحرب. إنتشل الأول منهما ضابط إستخبارات أمريكي تابع للفرقة المظلية المائة والواحدة - من بين بقايا أوراق هتلر الخاصة التي أحرقت ببرختسجادن Berchtesgaden. أما الثاني فقد تم العثور عليه بين أوراق (مارتن بورمان Martin Bormann).

وجُمعت مئات الألوف من الوثائق النازية المستولى عليها بغاية من السرعة في نورمبرگ Nu-remberg لتقدمها كوسائل إثبات في محاكمات مجرمي الحرب النازيين الكبار. وقد جمعت أثناء تعقيب الجزء الأول من وقائع تلك المرافعات - أكداً من النسخ المنقولة حرفياً على أصولها، ثم حصلت على المجلدات الإثنتين والأربعين من محاضرات الشهادات والمستمسكات مع ملحق لها يتألف من عشرة مجلدات الى جانب ترجمات لكثير من الوثائق المهمة. أما الوثائق الباقية فقد نشرت في مسلسل يتألف من خمسة عشر مجلداً آخر لمحاكمات نورمبرگ الإثنتي عشرة التالية، وهي ذات قيمة ولو أغفلت الطبعة أكثر الشهادات والوثائق.

وبالإضافة الى هذه الأكداً غير المسبوقه من الوثائق، هناك أيضاً محاضر إستجابات مسهبة لضباط الحرب الألمان وموظفي الحزب والحكومة وشهاداتهم المعززة بالقَسَم في مختلف محاكمات ما بعد الحرب، وقد زودني هذا بمواد ما كنت أحلم بها بعد حرب مثل هذه.

إني بالطبع - لم أقرأ كل هذا المقدار الهائل من الوثائق، فهذا ما لا طاقة به لأي فرد، على إني شققت طريقي خلال جانب كبير منها وكان عملي يتسم بالبطء كأني فلاح في بستان الكرم الغنية هذه، لإفتقاري الى الفهارست والقوائم المنظمة.

يعجب المرء حقاً من قلة ما كنا نعرف نحن الذين عشنا في ألمانيا أيام الحكم النازي دبلوماسيين

وصحفيين. ما أتفه ذلك الذي توصلنا إليه مما جرى خلف واجهة الرايخ الثالث! وتلك هي طبيعة الحكم الدكتاتوري المطلق فمن صفاته العمل بكتتمان والحرص على الأسرار لئلا تنتهبها أعين الأجانب المستطلعة. قد يسهل علينا أن نصف ونؤرخ حوادث النازيين المثيرة والشنعاء أحياناً - مما جرى إبان الرايخ الثالث كوصول هتلر الى الحكم، وحرق الرايخشتاغ Reichtag ومؤامرة روهام Roahm الدموية وضم النمسا وإستسلام چمبرلين وإحتلال چيكوسلوفاكيا وغزو بولندا وسكنديناويا والهجوم على الغرب والبلقان وروسيا وفضائع الإحتلال النازي ومعسكرات الإعتقال وتصفية اليهود. أما القرارات الحاسمة التي كانت تتخذ سراً، والمكائد والخبائات والأسباب والدوافع ولوثات الجنون التي كانت تدفعها الى حيز التنفيذ والأدوار التي مثلها الممثلون الرئيسون وراء الستار ومدى الخوف الذي كانوا يشيعونه في النفوس، وأساليبهم في تنظيم ذلك، فكل هذا وكثير غيره قد بقي معظمه مغطى الى أن رأت الوثائق الألمانية ضوء النهار.

قد يرى بعض الناس أن كتابة تاريخ للرايخ الثالث إنما هو عمل سابق لأوانه. وأن عملاً كهذا العمل يجب أن يُترك للجيل القادم من الكتاب الذين سيعجم الزمن عودهم ويتيح لهم مجالاً أرحب وقد وجدت هذا الرأي يسود جمهرة الباحثين في فرنسا، وخاصة عندما ذهبت إليها متصيداً مواد كتابي هذا، فقليل لي لا يجمل بالمؤرخ أن يتصدى لتاريخ حقبة من التاريخ أقرب من حقبة نابليون. في هذه الفكرة وجهة ويعد نظر. فقد إنتظر معظم المؤرخين خمسين سنة بل قرناً كاملاً بل أكثر من قرن قبل أن يحاولوا كتابة جزء محدود من تاريخ بلاد أو إمبراطورية أو عصر. أوليس السبب الأول في تلكؤهم هذا هو حتمية إنتظارهم وقتاً طويلاً ليستم الكشف عن الوثائق التي يحتاجونها كي يتزودوا منها بالمادة والمراجع والمصادر الموثوقة؟ وقد يتوفر هذا الزمن الطويل لكن بمروره يفقد المؤرخون شيئاً مهماً وهو المعرفة الشخصية بالحياة والزمن والشخصيات التاريخية وغير ذلك مما سيكتبون عنه.

إن قضية تاريخ الرايخ الثالث تقف حدثاً فريداً من نوعه. فكل الوثائق المتعلقة به تكاد تكون ميسورة بعد أن تم إنهياره، الى جانب إعتراقات الأحياء من قاداته عسكريين ومدنيين. وهي إعتراقات قيّمة أخذ بعضها في آخر لحظات حياتهم. أو قبل إعدامهم الحياة. بهذه المصادر التي لا يمكن مضاهاتها، وبهذا المقدار المتوفر بنهاية السرعة إضافة الى ذكرياتي عن حياة ألمانيا النازية وتصرفات الرجال الذين حكموها وفي مقدمتهم أدولف هتلر وهي مازالت في مخيلتي وعظامي - قررت القيام بمحاولة كتابة مؤلّفي "قيام وسقوط الرايخ الثالث".

قال "ثوكيديدس Thocydides" وهو من أعظم كتّاب التاريخ - في كتابه تأريخ حرب (الپلويونيز): "عشت هذه الحرب. وكنت في سنٍ تؤهلني الى فهم الأحداث وإعطاء رأيٍ فيها بحيث إستطعت الوصول الى كبد الحقيقة منها". على إنني وجدت من الصعوبة القريبة من المستحيل أحياناً، معرفة الحقيقة عن ألمانيا الهتلرية. إن جبال المواد الوثائقية تُعين المرء على تلمس السبيل الى الحقيقة أكثر مما بدا ذلك ممكناً قبل عشرين عاماً. لكن كميتها الهائلة كثيراً مما توقع المرء في حيرة. وكل المدونات

البشرية لاتخلو من هذه التناقضات المحيرة.

وكان مقدراً لأحكامي وميولي الخاصة النابعة عن تجاربي ومعاناتي أن تتسلل وتزحف الى صحائف هذا الكتاب بين الفينة والفينة بطبيعة الحال. فأنا مثلاً مبعوض للدكتاتوريات المطلقة كمبدأ أساسي ولطالما إشمأزت نفسي من هذه الدكتاتوريات نفسها وسأبقى كارهاً لها طول حياتي بعد أن عشت ردهاً من الزمن في ظلها أرقب صولتها القبيحة على النفس البشرية. على أنني حاولت في هذا الكتاب أن أكون موضوعياً متمسكاً بأدق المقاييس، تاركاً الحقائق تفصح عن نفسها، مثبتاً مصادر تلکم الحقائق بالترتيب. ولم أذكر حادثة أو مشهداً أو مقتبساً من وحي مخيلتي. إلا وهو مستند الى وثائق وإعترافات شهود عيان أو على ملحوظاتي الخاصة. وفي الحالات الخمس أو الست التي يلاحظ فيها بعض غموض أو إختلافات في وجهات النظر بسبب فقدان الحقائق لم أغفل عن التنبيه اليها في مواضعها.

ولست أشك في أن إيضاحاتي وتفاسيري قد توضع موضع الأخذ والرد. وهو ما لا مفر لي منه مادام هناك آراء قد تبلغ حداً من الحصافة وشأواً من الكمال. وما أدرجته هنا من آراء إستهدفت منه توضيح الأحداث والغوص في أعماقها إنما هو خير ما توصلت اليه من إستنتاج، وعصارة ما كسبته من خبرة وتجارب ومعرفة.

ربما كان "أدولف هتلر" خاتمة الفاتحين المغامرين الكبار من طراز (الاسكندر) و(بوليوس قيصر) و(ناپوليون) وربما كان الرايخ الثالث آخر الإمبراطوريات التي أقيمت على غرار ما أقيم في مقدونيا وروما وفرنسا. ومهما يكن من أمر فقد أسدل الستار على تلك الحقبة من التاريخ، تاريخ إنشاء الإمبراطوريات بإختراع القنبلة الذرية والهيدروجينية المفاجيء وبالصواريخ الموجهة والمركبات التي يمكن تسديدها وإيصالها الى القمر. وفي عصرنا الجديد هذا عصر المخترعات المهولة الفاتكة التي حلّت محل الأسلحة العتيقة بسرعة خاطفة، ستكون أول حرب عدوانية عظيمة - إن قُدر لها أن تأتي - من عمل مجنون صغير ذي نزعة قتالة يبدؤها بالضغط على زر إلكتروني. وحرب كهذه لاتدوم طويلاً ولا يتمكن أحد من متابعتها ولكن لن يكون فيها غالب أو مغلوب. وستتجلى آثارها في عظام متفحمة مبعثرة فوق سطح كوكب سيار ميت فقد كل أثر للحياة.

الكتاب الأول

ظهور « أدولف هتلر »

الفصل الأول

ميلاد الرايخ الثالث

- ١ -

ساد برلين توتر محموم في أول ساعة ولادة الرايخ الثالث. وبدا لكلٍ أمرىء تقريباً أن جمهورية (فايمر) على وشك السقوط. فهذه أكثر من سنة وهي تتداعى بسرعة مطردة. فالجنرال كرت فون شلايخر Kurt Von Schleicher الذي كان قليل الإكتراث بالجمهورية، وأقل إكتراثاً بالديمقراطية كسلفه فرانس فون باين Franz Von Papen والذي حكم مثله مستشاراً بموجب مرسوم جمهوري دون أن يحوز ثقة البرلمان - إنتهى حكمه بعد سبعة وخمسين يوماً فقط من تسلّمه.

في نهار السبت الموافق ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٣ أصدر الفييلد مارشال الهَرَم فون هندنبرگ Von Hindenberg رئيس الجمهورية مرسوماً بتنحيته عن منصب المستشارية دون سابق إنذار. وراح أدولف هتلر زعيم الإشتراكيين القوميين وهو أكبر الأحزاب السياسية في ألمانيا، يطلب لنفسه المستشارية في تلك الجمهورية التي حلف على تدميرها.

وفي يوم الأحد القرّ الحاسم هذا، إنتشرت أغرب الشائعات عما يتوقع حدوثه. وأبعث تلك الشائعات على القلق لم تكن تخلو من أساس. كانت ثم أنباء تشير الى أن (شلايخر) يتهيأ بالإتفاق مع الجنرال "كرت فون هامرشتاين Kurt Von Hammerstein قائد الجيش العام للقيام بإنقلاب عسكري عن طريق إستخدام حامية بوتسدام Potsdam وإعتقال رئيس الجمهورية وإقامة دكتاتورية عسكرية. وتطيرت إشاعات عن إنقلاب نازي تقوم به فرقة الصاعقة في برلين بمساندة أشياع النازي في الشرطة فتحتلّ "شارع فلهم Wilhelmstrasse" حيث يوجد قصر رأسة الجمهورية ومعظم الوزارات. وأشيع عن إعلان الإضراب العام. وفي نهار الأحد الموافق للتاسع والعشرين من كانون الثاني إحتشد مائة ألف عامل نقابي في لوستگارتن Lustgarten بقلب برلين إحتجاجاً على تعيين هتلر لمنصب المستشارية. وحاول زعيم نقابي الإتصال بالجنرال (هامرشتاين) مقترحاً عملاً مشتركاً بين الجيش والمنظمات النقابية إذا ما استدعي هتلر لرأسة الحكومة^(١). فقد سبق لإضراب عام مماثل أن أنقذ رئيس الجمهورية في محاولة إنقلاب كاپ Kapp الفاشلة العام ١٩٢٠ بعد فرار الحكومة من العاصمة.

١- مذكرات هامرشتاين إقتباس "هويلر بينيت" من كتابه The Nemesis of Power ص ٢٨٥، كتب المذكرات إبنه "الدكتور كونراد فون هامرشتاين" عن ملحوظات أبيه ويوميته نشرت بعنوان "شلايخر، هامرشتاين والإستيلاء على الحكم".



ظل هتلر معظم ليلة الإثنين يقطع أرض غرفته في فندق كايزرهوف Kaiserhof في رايشسكانسلرپلاتز Re-icheskanzlerplatz المجاور لدار المستشارية^(٢) غدوة ورواحاً. وكان واثقاً رغم هياجه العصبي أن ساعته قد حانت. فقد مضى عليه زهاء شهر وهو يفاوض في السر (باين) وغيره من زعماء اليمين المحافظين. وكان مضطراً إلى هذه المساومة فهو لا يستطيع تأليف حكومة نازية خالصة. إلا أنه يمكن أن يتأسس وزارة إئتلافية: ثمانية من أصل أعضائها الأحد عشر غير نازيين متفقون معه على إلغاء حكومة (فاير) ذات الطابع الديمقراطي. ولم يكن يعترض سبيله في ذلك غير الرئيس العنيد الهرم. فقبل يومين فقط من هذا التاريخ أي في ٢٦ كانون الثاني كان الفيلد مارشال الشائب قد قال للجنرال فون هامرشتاين،

باين

إنه لاينوي مطلقاً "أن يجعل نائب العريف النمساوي هذا وزيراً للدفاع ولا مستشاراً للرايخ"^(٣). ومع هذا فقد ضعف الرئيس الحرف تحت ضغط إبنة الرائد أوسكار فون هندنبرگ، وأوتو فون مايسنر Otto Von Meissner سكرتير الرئاسة لشؤون الدولة. وفون باين وغيرهم من موظفي القصر. كان هندنبرگ قد أناف على السادسة والثمانين وهو يغذ الخطى إلى الحرف وفي عصر يوم الأحد العصيب كان هتلر يتناول القهوة والكعك مع گوبلز ومساعديه الآخرين حين فوجئوا بهرمان گورنر Hermmn Georing رئيس مجلس الرايخشتاغ، والتالي لهتلر في قيادة الحزب يدخل الغرفة ويعلن بلهجة جازمة أن هتلر سيعلن مستشاراً نهار الغد^(٤).

وقبيل ظهر يوم الإثنين الموافق للثلاثين من كانون الثاني ١٩٣٣ إنطلق هتلر إلى قصر المستشارية لمقابلة (هندنبرگ) الحاسمة له ولألمانيا وللعالم أجمع. وكان (گوبلز) و(روهم) وغيرهما من أقطاب النازيين يشربون بأعناقهم من إحدى نوافذ كايزرهوف متطلعين بقلق إلى باب المستشارية يرقبون موعد قدوم هتلر. وقال (گوبلز): سنقرأ على وجهه علائم النجاح أو الفشل. فهم لم يكونوا واثقين حتى تلك الساعة. وقد كتب گوبلز في يومياته: "كانت قلوبنا نهباً موزعاً بين الشك والأمل، والخيبة والفرح. لقد ذقنا مرارة الفشل عدة مرات حتى إننا لم نعد واثقين تماماً بوقوع المعجزة الكبرى"^(٥). وبعد دقائق قليلة شاهدوا المعجزة: هذا الرجل ذو الشارب الشبيه بشارب (شارلي شاپلن)، الذي قضى أيام شبابه في فيينا يعيش عيشة المتشردين، ثم أصبح جندياً خاملاً من جنود الحرب العظمى

٢- جوزف گوبلز: (من كايزرهوف - إلى المستشارية) ص ٢٥١.

٣- مذكرات هامرشتاين إقتباس هويلر بينيت Wheeler Bennet ص ٢٨٠.

٤- گوبلز المرجع السالف - Von Kaiserhof Zur Reichskanzler ص ٢٥٠.

٥- المرجع نفسه ص ٢٥٢.

الأولى، وأحد المنبذين في الأيام الأولى العصبية لما بعد الحرب في مونيخ والزعيم المضحك لإنتقلاب مشرب البيرة، هذا المشعوذ الذي لم يكن ألمانياً بل نمساوياً وبالغ من العمر ثلاثة وأربعين عاماً، قد خرج بعد أن أدى اليمين القانونية بوصفه مستشاراً للرايخ الألماني.

وسرعان ما وجد نفسه بين رفاقه في كازينوهات بعد أن قطع الباردات المائة. وحفّ به غوبلز وگورنك وروهم وغيرهم من ذوي القمصان الرمادية الذين ساعدوه في طريقه الشاقة القاسية الى السلطة. وكتب غوبلز عن ذلك: "لم يقل (هتلر) شيئاً ولم يتلفظ أحداً بكلمة، لكن عينيه كانتا مخضلتين بالدموع"^(٦).

وفي مساء هذا اليوم قامت فرق الصاعقة النازية المتحمسة بإستعراض جبار بالمشاعل من الغسق الى ما بعد نصف الليل إحتفالاً بالفوز. خرجوا في أرتال منتظمة بعشرات الألوف من قلب "Teirgarten" ومروا من تحت باب براندبرگ وقوسه. واخترقوا (شارع قلهم) وأجواقهم تصدح بالمارشات العسكرية العتيقة على إيقاع الطبول الهادرة وكانت أصواتهم تزعق بنشيد "هورست فيسل Horst Wessel" الجديد وما إليه من الأناشيد العتيقة عتق ألمانيا. وأحذيتهم ذات الكعوب المعدنية تدق دقاً هائلاً على بلاط الشارع، ومشاعلهم مرفوعة الى فوق بهيئة تؤلف نارها شريطاً ملتهباً بدد غيبه الليل وإنتزع هتاف الإعجاب من المتفرجين الآخذين بعضهم بحُجُز بعض على الأرضة. وكان (هندنبرگ) يتأمل من نافذة قصره تلكم الكتل المتراصة السائرة ويدق الأرض بعصاه لحون المارشات العسكرية الصادحة وهو ظاهر الجذل والحبور لأنه إختار مستشاراً في وسعه أن يرفع معنويات الشعب على الأسلوب الألماني التقليدي. ومن المشكوك فيه أن يكون هذا الشيخ الهرم قد أدرك بحرفه مغزى القوى التي أطلق لها العنان في ذلك اليوم المشهود، فعلى كل حال إنتشرت قصة في برلين ربما كانت ملفقة ومؤداها أن المارشال الشيخ إلتفت الى جنرال قريب منه أثناء مشاهدته العرض وقال له:

- لم أكن أدري أننا أسرنا هذا العدد الكبير من الروس!

كان أدولف هتلر واقفاً أمام نافذة مفتوحة في المستشارية على مسافة مرمى حجر من (قلهمشتراسه) والدنيا لاتكاد تسعه فرحاً وتأثراً وهو يدور في أرجاء الغرفة راقصاً نطاطاً رافعاً يده بالتحية النازية بإستمرار ضاحكاً مستبشراً وقد إمتلأت عيناه بالدموع.

هنالك مراقب أجنبي كان يتابع ما يجري في تلك الأمسية بمشاعر نفسية مختلفة وهو "أندريه فرانسوا پونسيه Andre` Francois Pocet" السفير الفرنسي الذي كتب خاطره التالية: "إن نهر اللهب قد مر بالسفارة الفرنسية وأنا أرقب إضطرامه المتوهج بقلب مثقل بالإشمئزاز"^(٧).

وآب غوبلز الى بيته في الساعة الثالثة صباحاً منهوك القوى ولكنه سعيد وكتب قبل أن يستسلم الى الكرى ما يلي: "إنه لأشبهه بحلم... بل أسطورة!... الرايخ الجديد وكُلد الآن. أربعة عشر عاماً تتوج

٦- المرجع نفسه ص٢٥٢.

٧- "السنوات الحاسمة" ص٤٨. كان السفير الفرنسي في برلين من ١٩٣٠ - ١٩٣٨.

بالنصر، لقد بدأت الثورة الألمانية^(٨).

إن الرايخ الثالث الذي ولد في الثلاثين من كانون الثاني عام ١٩٣٣، و"سيبقى ألف سنة كاملة"^(٩) على ما فخر به هتلر متخذاً له تعبير "الرايخ الألفي"، لم يدم غير إثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر، إلا أنه في هذه الفترة القصيرة جداً من عمر التاريخ، أحدث إنفجاراً على الكرة الأرضية أشد عنفاً من أي إنفجار عرفته من قبل. لقد رفع الشعب الألماني إلى أعلى عليين مما لم يره منذ ألف سنة أو أكثر وجعله سيد أوروبا من ساحل الأطلسي حتى ضفاف (الثولگا) ومن القطب الشمالي حتى البحر الأبيض المتوسط، ثم هبط به إلى أسفل سافلين وقذف به إلى لجة من الخراب والدمار في أعقاب حرب عالمية أثارها ذلك الشعب ببرودة دم، ومارس خلالها حكماً من الرعب والإرهاب على الشعوب المغلوبة فاق كل ما عرفته الأجيال السابقة من إضطهاد وحشي جرى وفق مجازر مخططة محسوبة لمعشر بني البشر.

لاشك في أن هذا الرجل الذي أوجد الرايخ الثالث وحكمه بصرامة، وبذكاء غير عادي أحياناً، ثم إرتقى به إلى هذا الإرتفاع المخيف الذي يقطع الأنفاس ثم هوى به من حالق إلى تلك الهوة المريعة، كان من العباقرة، إلا أنها عبقرية شريرة. إنه والحق يقال وجد في الشعب الألماني طبيعة منقادة ساعدته على تحويلها إلى قوة ملائمة لأغراضه المشؤومة كما إصطلحت على صياغة ذلك الشعب بهذا الشكل قرون من التجارب وأقدار غامضة. لكن الثابت إنه ما كان ليظهر الرايخ الثالث إلى الوجود لولا شخصية "أدولف هتلر" التي إجتمع فيها الشر الشيطاني والإرادة الصخرية والقسوة الباردة والذكاء الباهر والخيال المفرط والغرائز التي لاتعرف حدوداً والأهلية الكفوءة للحكم على الأشخاص والظروف حكماً صائباً، تلك الأهلية التي لم تفارقه حتى النهاية عندما أتملته خمرة النصر والنجاح. قال عنه فريدريك ماينكه Friedrich Meinecke وهو مؤرخ ألماني مشهور: "إنه مثلاً من الأمثلة العظيمة لشخصية فريدة ذات قوى لايمكن قياسها في حياة التاريخ"^(١٠). وكان الأمر لبعض الألمان ولمعظم الأجانب يبدو وكأن دجالاً قد وثب إلى الحكم في برلين. أما بالنسبة إلى أغلب الألمان فقد كان هتلر -أو سيكون فيما بعد- الزعيم الملهم الحقيقي. ولقد قُدِّرَ لهؤلاء أن يتبعوه معصوبي الأعين - كأنا سحرهم بسلطان إلهي - خلال تلك الأعوام الإثني عشر المملأ بالزوابع والأعاصير.

- ٢ -

مجيء أدولف هتلر

لو حكمنا على هتلر من أصله ومنبته وحياته الأولى لصعب علينا أن نتصور أهليته في إرتداء جبة

٨- گوبلز: المرجع السالف، الص ٢٥١-٢٥٤.

٩- بيان الخامس من أيلول في نورمبرگ عام ١٩٣٤.

١٠- فريدريك ماينكه: الكارثة الألمانية ص ٩٦.

(بسمارك) وأباطرة (هوهنزولرن Hohenzollern) والرئيس هندنبرگ. ذلك النمساوي الأجنبي المنحدر من أسرة فلاحيية ولد في الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين من مساء يوم ٢٠ نيسان ١٨٨٩ في غاستهوف زُم پومر Gasthof Zum Pommer وهي حانة متواضعة في بلدة "براونانو أم إن Braounou am Inn على حدود (بافاريا).

كان لمحل الميلاد على الحدود الألمانية النمساوية أهمية ودلالة خاصة لهتلر الشاب فقد جعله يفكر وهو في مقتبل العمر بعدم ضرورة وجود حدود بين هذين القطرين اللذين ينتسبان الى رايبخ واحد ويتكلمان الألمانية وكان شعوره بدرجة من الشدة، حتى إنه بدأ سطور كتابه الأولى وهو جالس في أحد السجون الألمانية وعمره خمسة وثلاثون عاماً بمعالجة قضية محل ولادته بأسلوب رمزي، وبهذه السطور بدأ كتاب كفاحي الذي أصبح خريطة تصميم بناء الرايبخ الثالث قال: "اليوم يبدو لي وكأن العناية الإلهية إختارت محل ميلادي في مدينة (براناو أم إن) فهي تقع على الحدود التي تفصل ما بين دولتين ألمانييتين أوقفنا حياتنا نحن أبناء الجيل الجديد على توحيدهما بكل طريقة تعنُّ لنا... تلك المدينة الصغيرة على الحدود بدت لي رمزاً لرسالة عظيمة"^(١١).

وهو الإبن الثالث لزيجه ثالثة أقدم عليها موظف كمرك نمساوي صغير الشأن، ولد سفاحاً وظل يحمل لقب أسرة أمه شيكلگروبر Schicklgruber تسعة وثلاثين عاماً. ويظهر اسم هتلر في خط سلالة الأم كما يظهر في خط سلالة، الأب "فهتلر هو جده من ناحية أمه كهتلر هي جده من ناحية أبيه، أو هي بالأحرى أسماء متقاربة الجرس والكتابة مثل: هيدلر Hiedler، هوتلر Huetler، هتُلر Huettler، هتلر Hitler. وأم هتلر هي ابنة عم أبيه، وقد وجب على الأب أن يحصل على (تفسيح) كنسي لإتمام عقد الزواج. وكان أسلاف زعيم ألمانيا المقبل صلباً ورحماً يعيشتون في (فالدييرتل Waldviertel) أجيالاً متعاقبة. وهي إقليم في النمسا السفلى يقع بين الدانوب وبين تخوم (بوهيميا) و(موراخيا). وفي أثناء وجودي هناك مررت بهذا الإقليم وأنا في طريقي الى پراغ أو الى ألمانيا فوجدتها منطقة غابات تنتشر على رقعتها قرى ريفية وحقول صغيرة. ومع أنها لا تبعد عن فيينا أكثر من خمسين ميلاً، فجوها الذي تعيش فيه يوحي ببعدها عن المدينة وبال فقر الشديد. حتى لكأن مسارب الحياة النمساوية الرئيسية لم تمر بها. ويميل السكان الى خشونة الطباع والعزلة كالفلاحين الچيكيين عن شمالهم. والتزواج فيما بينهم إعتيادي كأبوي هتلر. وأولاد الحرام فيهم كثيرون.

في خط سلالة الأم تجد بعض إستقرار. فقد ظلت أسرة (كلارا پولزل Klara Poelzl) تقطن الملك الفلاحي رقم (٣٧) في قرية شبييتال Spital أربعة أجيال متعاقبة^(١٢). أما حياة أسلاف هتلر الصُلبيين فمختلفة تماماً. ولقد رأينا كيف تفاوتت تهجئة لقب الأسرة وكذلك محل السكنى. فهناك ميل جامح الى التنقل عند آل هتلر ورغبة في التحول من قرية الى أخرى ومن عمل الى عمل. وشم نفرة من

١١- كفاحي Mein Komph الطبعة الأمريكية، بوسطن ١٩٣٤، ص٣. في مقتبساتي الكثيرة حاولت أن أغير من الترجمة الإنكليزية لأجعلها قريبة من النص الألماني.

١٢- كونراد هايدن (الزعيم) ص٣٦. كل من كتب عن الرايبخ لاشك مدين لهذا المؤلف بالمواد الخاصة بحياة هتلر الأولى.

العلاقات البشرية الثابتة وحب في بوهيمية العلاقة مع الناس.

كان (يوهان جورج هايدلر) جدُّ أدولف طحاناً جوالاً يزاول حرفته في قرية بعد أخرى من قرى النمسا السفلى. ولد له عام ١٨٢٤ إبن بعد زواجه الأول بخمسة أشهر لكن الإبن وأمه ماتا. وعقد بعد ثماني عشرة سنة زواجه الثاني من فلاحه تدعى "ماريا أنا شيكلگروبر" أثناء مزاولته العمل في دورنتال Duerenthal بقرية سترونز Strones وكان لها من العمر (٤٧) عاماً عند ذلك. وقبلها بخمس سنين (أي في ٧ حزيران ١٨٣٧) كانت قد وضعت إبناً غير شرعي سمته (ألواز) وهو على أغلب الإحتمال إبن (يوهان هايدلر) وإن لم يقم دليل كاف على البنوة. ومهما يكن فقد تزوج (يوهان) المرأة أخيراً إلا أنه لم يكلف نفسه مؤونة تبني الطفل الحرام خلافاً للعادة المتبعة ونشأ الولد يحمل لقب أمه "ألواز Alois شيكلگروبر".

توفيت آنا عام ١٨٤٧ وغاب يوهان هايدلر تماماً ثلاثين عاماً ثم ظهر ثانية في بلدة فايترا Weitra في فالدفيرل وهو في الرابعة والثمانين وقد تغيرت تهجئة إسمه الى "هتلر"، أثناء مثوله أمام كاتب عدل وبمحضر من ثلاثة شهود للإقرار بأنه والد (ألواز شيكلگروبر!) لماذا إنتظر هذا الشيخ تلك المدة الطويلة لإتخاذ هذه الخطوة، وما الذي دفعه الى إتخاذها أخيراً؟ أمر لا تكشف عن أسبابه المدونات المتيسرة. على إن "هايدن Heiden" يذكر أن (ألواز) قد أسرّ فيما بعد الى صديق، أن الإعتراف ببنوته لم يجر إلا لتيسير حصوله على جزءٍ من ميراث عمه أخ الطحان الذي كان قد قام على تربية الشاب في بيته^(١٣).

لقد تم الإعتراف المتأخر في السادس من حزيران عام ١٨٩٧. وفي ٢٣ تشرين الثاني من العام نفسه قام راعي كنيسة دوللرشهايم Doellersheim بشطب إسم ألواز شيكلگروبر من سجل العماد وكتابة إسم (ألواز هتلر) بدلاً عنه بناءً على وثيقة البنوة التي دُفعت إليه. فصار أب (أدولف) يعرف منذ ذلك الحين فصاعداً بإسم ألواز هتلر. وإنتقل اللقب بطبيعة الحال الى إبنه. ولم تظهر هذه الحقائق للملأ إلا في عام ١٩٣٠ عندما قام صحفيون مغامرون من فيينا بتقليب سجلات الأبرشية حتى إكتشفوا الوقائع الخاصة بأسلاف هتلر وأطرحوا جانباً محاولة (يوهان جورج هايدلر) المتأخرة لإنصاف إبنه النغل ومحاولين شدّ لقب "أدولف شيكلگروبر" الى الزعيم النازي!

هنالك غرائب من تقلبات الحظ في حياة هتلر العجيبة، وليس ثم أغرب مما حصل قبل ثلاثة عشر عاماً من ميلاده. فلو لم يعد الطحان العجوز ذو الأربعة والثمانين عاماً ليظهر ظهوراً غير متوقع فيعترف بأبوته لإبنه البالغ تسعة وثلاثين عاماً (أي بعد ثلاثين عاماً من وفاة أمه) لظل أدولف هتلر معروفاً بلقبه الأصلي "أدولف شيكلگروبر". وربما لا أهمية في هذا التغيير، بيد أنني سمعتُ الألمان يتساءلون هل كان سيقدر لهتلر أن يتزعم ألمانيا لو ظل معروفاً بلقب شيكلگروبر؟ إن في الإسم جرساً مضحكاً عندما يخرج من شفنتي ألمان الجنوب. والمرء لا يتمالك نفسه من أن يتخيل كتل الجماهير الألمانية المتحمسة وهي تهتف بالإسم مقروناً بلفظة التحية هايل! هايل شيكلگروبر!

١٣- المرجع السالف، ص ٤١.

إن جملة "هايل هتلر! Heil Hitler" لم تعد قاصرة على ترينيمها تشبيهاً بالأناشيد الفانغرية Wagenerian التي تطلقها ربّوات من الحناجر في مشاهد الدروشة المسرحية للكتل النازية المنتظمة صفوفاً متراسة. بل إنها أصبحت التحية المفروضة على الألمان في عصر الرايخ الثالث. وفي التلفون قامت مقام لفظة إفتتاح المكالمة المعروفة "هالو". فمن الصعوبة بمكان والحالة هذه أن نتصور إمكانية التحية بـ"هايل شيكلرغروب" (١٤).

ويبدو إن أبوي ألواز لم يعيشا تحت سقف واحد، حتى بعد تمام زيجتهما لذلك نشأ والد (أدولف هتلر) في كنف عمّه الذي كان يكتب لقيه بشكل لا يتفق مع كتابة أخيه يوهان. فقد عرف هكذا "يوهان فون نيبومك هوتلر Johan Von Nepomuk Huetler. وللبغض الخالد الذي أمّاه الزعيم النازي في شبابه للچييك مما دفع به الى تدمير أوطانهم، فإن إسم عمه الأوسط يستأهل شرحاً: إن (يوهان فون نيبومك) هو إسم القديس الوطني وشفيع الشعب الچيكي. ويجد بعض المؤرخين أن ظهور هذا الإسم في أسرة هتلر دليل على وجود دم چيكي فيها.

في مبدأ الأمر تعلم (ألواز شيكلرغروب) صنع الأحذية في قرية (شپيتال). ولما كان حب التجوال مختلطاً بدمائه كأبيه، فقد سافر الى فيينا ليحرب حظه. وإنخرط وهو في سن الثامنة عشرة في سلك شرطة الحدود المرتبطة بمصلحة الغمارك النمساوية قرب (سالزبرگ)، وبعد أن رفع الى درجة موظف في الكمارك بإكماله تسع سنوات، تزوج "أنا غلازلهويرر Anna Glasl-Hoerer وهي بنت متبناة لأحد موظفي الكمرک، فجاءته بمهر صغير ورفعت من مركزه الإجتماعي على عادة البيروقراطية الصغيرة النمساوية-الهنكارية. لكن الزواج لم يكن سعيداً لأن الزوجة تكبره بأربعة عشر عاماً، وهي عليله الجسم، ظلت تشكو من العقم حتى إفتقرا بعد ستة عشر عاماً. وبعد ذلك بثلاثة أعوام وافاها الأجل في ١٨٨٣.

قبل أن تحصل بين الزوجين الفرقة بدأ ألواز (وكان يُعرف قانوناً بلقب هتلر) يعيش طاهيةً في فندق إسمها فرانيسكا ماتزلزبرگر Franziska Matzelsberger فولدت له سنة ١٨٨٢ طفلاً سفاهاً سماه (ألواز) وبعد شهر من وفاة زوجته، بنى بهذه الطاهية الشابة فولدت له بعد ثلاثة أشهر من العقد إبنته (آنجلا) ولم يدم الزواج طويلاً فقد توفيت (فرانتسكا) بداء الصدر. وبعد موتها بستة أشهر تزوج (ألواز هتلر) للمرة الثالثة والأخيرة.

كانت العروس الجديدة (كلارا پولزل) التي أصبحت بعد فترة أمماً (لأدولف هتلر) تصغر زوجها بثلاثة وعشرين عاماً. وهو في الثامنة والأربعين وقد عرفا بعضهما بعضاً منذ أمد بعيد. فكلارا جاءت من قرية (شپيتال) مسقط رأس آل هتلر وأسلافهم. وجدّها هو (يوهان فون نيبومك هوتلر) الذي ربي ابن أخيه (ألواز شيكلرغروب هتلر) لذلك فهما إبننا عمومة من الدرجة الثانية وكان من

١٤- يبدو إن ذلك لم يخفَ على هتلر نفسه، ففي عهد صباه أسرّ الى صديق حدثته الوحيد قائلاً إنه لم يفرح بشيء في حياته قدر ما فرح بقيام أبيه بتغيير لقب الأسرة. وقال لأوگست كوتشبيك إن إسم "شيكلرغروب" يبدو له غليظاً خشناً فضلاً عن كونه مضحكاً وغير عملي يجافي النطق. وقال إنه يرى لقب (هيدلر) رقيق اللفظ جداً. إلا أن لفظة (هتلر) جميلة سهلة الإستدكار.

الضروي أن يُستحصل (تفسيح) كنسي لإتمام الزواج.

ظلت فكرة هذا الزواج تساور موظف الكمبرك عدة سنين بعد أن ضم (كلارا) الى بيته المقفر من الأطفال كإبنة متبناة أثناء قيام زواجه الأول. وهذه الصبية كانت قد قضت رداً من الوقت مع آل شيكلرور في (براناو) وعندما ظهرت العلة على الزوجة الأولى بدا (ألواز) وكأنه إتخذ قراره في البناء بكلارا بعد وفاة زوجته. لقد تم الإعراف ببنوته وفوزه بميراث عمه جد كلارا عندما كانت كلارا في السادسة عشرة من عمرها وهي أول سن الزواج لكن علة الزوجة طالت بها بعد الفرقة كما رأينا ولعل إنشغال (ألواز) بعشرة الطاهية فرانتسكا حمل كلارا وهي في العشرين على الرحيل الى فيينا والعمل خادمة في أحد المنازل. لكنها عادت بعد أربع سنوات للإشراف على شؤون بيت ابن عمها لأن الزوجة الثانية (فرانتسكا) قضت الأشهر الأخيرة من حياتها بعيدة عن دار الزوجية. وتم قران (ألواز هتلر) بكلارا في ٧ كانون الثاني ١٨٨٥ وبعد أربعة أشهر وعشرة أيام ولد بكرها غوستاف Gustav وتوفي في مرحلة الصبا ولحقت به إبنتهما أيدا Aida المولودة في ١٨٨٦، وكان أدولف الولد الثالث لهذا الزواج الثالث. وولد إبنهما الرابع إدموند Edmund في سنة ١٨٩٤ ولم يعيش غير ست سنوات، أما الطفل الخامس والأخير پاولا Paula التي ولدت في ١٨٩٦ فقد ظلت حية وأناقت على أخيها الشهير.

أما (ألواز) أخ أدولف وأخته آنجيلا لأبيه وهما ولدا (فرانتسكا) فقد عاشا وأدركا سن النضوج وتزوجت (آنجيلا) الجميلة بموظف مالي يدعى (راوبال Raubal). وبعد أن توفي عنها عملت في فيينا كمديرة شؤون بيت وإن كانت معلومات (هايدن) صحيحة فإنها إشتغلت فترة من الزمن طاهية في مطبخ خيري يهودي^(١٥). وفي ١٩٢٨ أرسل هتلر بطلبها لتكون مديرة شؤون بيته في (برختسغادن) ومنذ ذلك التاريخ وإسمها يجري على أفواه أقطاب النازيين في إطراء المعجنات والحلويات العجيبة الفنية التي تصنعها لأخيها وكان مغرماً بهذه الأكلات. ثم ما لبثت أن تركته في ١٩٣٦ لتتزوج بروفسوراً في الهندسة المعمارية يدعى (درسدن Dresden) وغضب عليها هتلر لتركها بيته - وكان آنذاك مستشاراً ودكتاتوراً وأبى أن يرسل لها هدية عرس. وكانت الشخص الوحيد القريب منه من دون أعضاء أسرته - كما يبدو - في سنواته الأخيرة، بإستثناء واحد. فقد كان لأنجيلا بنت شقراء باهرة الجمال إسمها گيلي راوبال Geli Raubal. وهي حب هتلر الحقيقي العميق الوحيد في حياته كما سنرى. لم يكن "أدولف هتلر" يرغب أن يذكر أمامه أخوه لأبيه (ألواز ماتزلزيرگر) الذي كانت بنوته قد صُححت فأصبح (ألواز هتلر). إشتغل هذا خادماً في مطعم وظل عدة سنين من حياته طريد العدالة. وذكر هايدن أنه حُكم بعقوبة وهو في سن العشرين وقضى حكماً آخر بالسجن لمدة ثمانية أشهر لسرقة ثمانية. ثم إنتقل من النمسا الى ألمانيا ليقع في ورطات أخرى. وفي ١٩٢٤ عندما كان هتلر يعاني غصص السجن لتنظيمه الثورة السياسية في (مونيخ)، أصدرت محكمة (هامبورگ) حكمها بالسجن ستة أشهر على (ألواز هتلر) بتهمة تعدد الزوجات. ويعدها يذكر (هايدن) أنه رحل الى

١٥- المرجع نفسه، ص ٤٣.

إنجلترا وهناك أسرع بتكوين أسرة ثم تركها ورحل^(١٦).

وبوصول النازيين الى السلطة تحسنت أحوال (ألواز هتلر) ففتح مشرب بيرة صغير Bierstube في ضاحية من ضواحي برلين. وانتقل منها قبيل الحرب الى حي فيتنبرگپلاتز Wittenbergplatz الراقي وهو حي (وست إند) برلين. وكان يغشاه موظفو النازي الكبار. وكان يبدو أثناء سنوات الحرب الأولى عندما عزت المأكولات، حسن التجهيز بمختلف الأطعمة وفي ذلك الزمن اعتدت غشيانه بين آن وآخر. وكان ألواز يناهز الستين، رجلاً طيب القلب فيه بساطة وبدانة وبعض شبه بأخيه لأبيه الشهير وأنت في الواقع لاتستطيع تمييزه بشيء عن عشرات أصحاب المشارب الصغيرة التي يكثر وجودها في ألمانيا والنمسا. إن الأعمال جيدة، ومهما كان ماضيه فهو الآن حسبما يبدو يستمتع بحياة هانئة وكان أخوف ما يخاف أن يخطر ببال أخيه مصادرة إجازته في ساعة غضب أو قرف منه. ويشاع في هذا المشرب أحياناً بأن مستشار الرايخ وزعيمه يتألم كثيراً لوجود هذا الذي يذكره بأصل أسرة (هتلر) الوضيع. وأذكر أن ألواز نفسه كان يأبى أن يجره أحد إلى الحديث عن أخيه إباءً تاماً وهذا بعد نظر منه وحكمة، إلا أنها حكمة تزعجنا نحن الذين كنا نحاول أن نعلم كل ما يتسنى لنا صيده عن ماضي هذا الرجل الذي راح يستعد لفتح أوروبا.

وإذا ضربنا صفحاً عن أخبار الأسرة المثبتة في (كفاحي) وهي أخبار متفرقة ومضللة في أغلب الأحيان، مبتورة بترأ شديداً، فنادرأ ما كان هتلر يخوض أو يسمح بالخوض في أحوال أسرته وحياته الأولى في المجلس الذي يضمه. ولقد رأينا كيف كانت أحوال أسرته ومطلع حياته.

- ٣ -

حياة أدولف هتلر الأولى

تقاعد والد "هتلر" من وظيفته في الكمرك وهو في الثامنة والخميسن في ١٨٦٥، وفي تلك السنة دخل الإبن مدرسة قرية فيشلهام Fischlham. وله من العمر ست سنوات. والمدرسة تقع على مسافة قليلة من مدينة لينز Linz. وواصل المتقاعد المعرّم بالتنقل تجواله من قرية الى أخرى في ضواحي (لينز) طوال الأعوام الأربعة أو الخمسة. وكان بإمكان الإبن أن يذكر عند بلوغه الخامسة عشرة سبعة تغييرات في محلات الإقامة وخمسة إنتقالات بين مختلف المدارس، وقد داوم خلال سنتين في دير لامباخ Lambach للرهبان البندكتيين حيث كان والده قد إبتاع حقلاً بالقرب منه. وكان في الدير يرتل مع جوقة المرتلين ويتلقى دروساً في الإنشاد ويحلم بمجيء اليوم الذي يرسم فيه قساً كما ذكر^(١٧). أخيراً إستقر الأب المتقاعد في قرية (ليوندنك Leonding) وهي الأخرى من قرى لينز الجنوبية. وسكنت الأسرة منزلاً متواضعاً ذا حديقة.

١٦- المرجع السالف، ص ٤٣.

١٧- كفاحي، ص ٦.

وأرسل (أدولف) وهو في الحادية عشر الى ثانوية لينز، وكان ذلك من الأب تضحية مالية، ودليلاً على طموحه الى جعل ابنه موظفاً مدنياً مثله، وهو آخر ما كان يخطر ببال الفتى. قال "هتلر" فيما بعد^(١٨):

"ما بلغت الحادية عشرة حتى وجدنتني أعارض أبي لأول مرة... إنني لم أرغب أن أكون موظفاً". إن قصة كفاح هذا الطفل لإرادة أبيه وهو لم يدخل بعد عقده الثاني ووقوفه وقفة عنيدة أمام صلاته وسيطرته حسب وصفه، هي من إحدى القصص القليلة التي أفاض هتلر في وصفها بأمانة ظاهرة ولهجة صادقة في (كفاحي). وقد نجم عن هذا الصدام أول مظهر لتلك الإرادة العنيفة الهوجاء التي لايفلّ غرابها شيء. تلك الإرادة التي أركبته أحشن المراكب وانطلقت به بعيداً رغم العوائق التي بدت وكأنها لا تُفتتح، والمواقف الصعبة التي أدت به الى سحق كل من إعترض سبيله فُقدّر لها بالأخير أن تخيم بكابوس لا يطاق على ألمانيا وأوروبا.

"لم أرغب قط في أن أدخل سلك الوظيفة... وقد حاول والدي بقصصه عن حياته الخاصة إذكاء حب هذه المهنة في نفسي والإلتذاذ بها فكان لقصصه أثر معكوس تماماً. حتى ضقت ذرعاً وكنت أرتعد فرقاً من فكرة جلوسي في دائرة حكومية مجرداً من حريتي محظوراً عليّ أن أكون سيد وقتي مجبراً على حرف كل محتوى حياتي الى ملء إستمارات وأوراق ليس إلا..."

"وظهر لي يوماً أنني سأكون رساماً فناناً... فعقلت الدهشة لسان أبي وصرخ: رسام فنان؟ شك في أنني مصاب بلوثة من الجنون أو لعله كذب أذنيه أو ربما خيل له أنه أساء الفهم. وعندما أوضحت له غرضي وبخاصة عندما إقتنع أنني جاد، راح يعارض رغبتني بكل ما في طبعه من إصرار... فنان؟ كلا لن يحدث هذا ما دمت حياً. ولم ينصرف عن رأيه. ولم يتخل عن كلمة "كلا أبداً" وبقيت مصراً على كلمتي "مهما يكن من أمر"^(١٩).

وكانت نتيجة هذا الخلاف (كما ذكر هتلر فيما بعد) أنه إنصرف عن الدراسة "... ففكرت أن والدي سيتركني أوقف نفسي على تحقيق حلمي عندما يجد قلة التقدم الذي أحرزه في الدراسة الثانوية. طوعاً أو كرهاً"^(٢٠).

هذا ما دونه بعد أربعة وثلاثين عاماً، ولعله أراد أن يتخذ عذراً لفشله في الدراسة. وكانت درجاته في الإبتدائية جيدة عموماً إلا أنها ساءت جداً في ثانوية لينز حتى أدت الى حرمانه الشهادة التقليدية. وإضطر أن ينقل تحصيله الدراسي الى ثانوية (شتيبر Steyr) الحكومية التي تبعد قليلاً عن لينز وظل فيها حتى تركها قبل التخرج بوقت قصير.

ألهب فشل هتلر المدرسي في جوانب نفسه حقداً عارماً ظل يلاحقه حتى أواخر حياته. فكان يصب جام سخريته على أولئك السادة الأكاديميين ودرجاتهم العلمية وشهاداتهم العالية وأساليبهم التعليمية في معاملة الناس الآخرين. ولم يتحرج عن ذلك حتى في السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة من

١٨- المرجع السالف، ص ٨.

١٩- المرجع السالف، ص ٨-١٠.

٢٠- المرجع السالف، ص ١٠.

حياته. ففي مقر القيادة العسكرية العليا حيث سمح هتلر لنفسه أن يتختم بتفاصيل الاستراتيجية العسكرية والفنون السوقية قضى مرةً أمسية كاملة مع رفاق الحزب القدامى يستذكر غباوة معلميه في عهد فتوته وصباه. وحفظت لنا المدونات طرفاً من هراء هذا العبقرى الملتاث. في الوقت الذي كان سيد الحرب الأعلى الذي يقود جيوشه الجرارة من حوض الثولغا الى القنال الإنجليزي. فمن قوله:

"كلما فكرت بالرجال الذين تلقيت عنهم علمي الأولى، وجدت معظمهم مصابين بلوثات خفيفة من الجنون. إن المعلمين الذين يمكن أن يوصفوا بالجودة هم قلة. ومما يحز في النفس أن يفكر المرء في مدى السلطان الذي منح لهؤلاء للوقوف في سبيل طموح الشباب (٣ آذار ١٩٤٢) (٢١)".

"في نفسي أسوأ الذكريات وأقبحها عن أولئك المعلمين الذين درست عليهم. فمظهرهم الخارجي يدل على قذارتهم، وبقاقتهم مدعوكية... إنهم ثمرة البيروليتاريا العارية المجردة عن الإستقلال الذاتي في الفكر والمشهورة بالجهل، لا يوازيه جهل تلك البيروليتاريا التي تريد أن تنتظم لتتصير عماداً لنظام عقيم من أنظمة الحكم. وقد أصبح الآن والحمد لله أثراً من آثار الماضي: (١٢ نيسان ١٩٤٢) (٢٢)".

"كلما أحضرت في ذهني أساتذة المدرسة. أدركت أن نصفهم مخلوقات شاذة غير طبيعية... نحن تلاميذ النمسا ربينا ودرجنا تحت أقدام النساء وكبار السن. ولم تداخلنا بأساتذتنا رحمة فهم أعداؤنا الطبيعيين ومعظمهم مضطرب عقلياً. والحق إن قسماً لا يُستهان بهم كانوا ينتهون الى البيمارستان... كنت قرفاً من المعلمين بنوع خاص ولم أكن أظهر أقل ميل الى اللغات الأجنبية. وربما إختلف الأمر لو لم يكن معلمي ملتاثاً بالولادة. إنني ماكنت أطيق حتى رؤيته. ٢٩ آب ١٩٤٢ (٢٣)".

"كان معلمونا مثال الطغاة، لا يشفقون على الشباب. وكل همهم ينحصر في حشو أدمغتنا، وجعلنا قردةً لبقين مثلهم. وإن أظهر تلميذ أقل ميل للإبداع والألمعية إضطهده إضطهاداً قاسياً. إن التلاميذ المثاليين الذين عرفتهم كانوا كلهم فاشلين في حياتهم العملية تماماً: ١٧ أيلول ١٩٤٢ (٢٤)".

ويظهر أن هتلر لم يغتفر لمعلميه الدرجات السيئة التي أعطوه إياها. وهو لم ينس لهم ذلك حتى يوم موته. إلا أنه كان قادراً على تشويه الحقيقة الى درجة إكسائها ثوب السخر والدعاية.

بعد أن أصبح شخصية عالمية دُون بعض الإنطباعات التي خلفها في معلميه باختصار. ومن الأساتذة القلائل الذين حفظ لهم هتلر بعض الود، الأستاذ تيودور جيسنجر Theodor Gisinger الذي حاول تلقيه العلوم. لقد ذكر هذا فيما بعد: "بقدر ما يتعلق الأمر بي أقول إن هتلر لم يخلف إنطباعاً سيئاً أو حسناً في (لينز) ولم يكن مقدّم الصف. وأذكره فتى ضامراً مشدود القامة شاحب الوجه معروقه كالمبتلى بداء السل. نظراته صريحة بشكل غير إعتيادي وعيناه براقتان (٢٥) ذكيتان".

أما البيروفيسور إدوارد هومر Eduard Huemer فالأرجح أنه المعلم الملتاث العقل من ولادته الذي نوّه

٢١- أحاديث هتلر السرية (١٩٤١-١٩٤٢) ص ٢٨٧.

٢٢- المرجع نفسه، ص ٣٤٦.

٢٣- المرجع نفسه، ص ٥٤٧.

٢٤- المرجع نفسه، ص ٥٦٦-٥٦٧.

٢٥- أوغست كويتشيك (هتلر الفتى الذي عرفته) ص ٥٠.

به هتلر، لأنه كان مدرس اللغة الفرنسية. جاء الى مونيخ عام ١٩٢٣ ليؤدي شهادة في صالح تلميذه السابق إبان محاكمته بتهمة الخيانة على إثر المحاولة الانقلابية المعروفة بـ(مؤامرة مشرب البيرة). ومع ثنائه على أهداف هتلر، وتمنيه من صميم قلبه أن يراه وقد حقق مثله العليا، إلا أنه رسم صورة علمية دقيقة لتلميذ الثانوية الشاب حين قال:

"لاشك إن هتلر موهوب. ومواهبه قاصرة على مواضيع معينة. على أنه يفتقر الى ضبط النفس وأقل ما يمكن القول فيه، إنه كثير الجدل وأتوقراطي، معتزّ برأيه، حاد المزاج، لا يستطيع أن يخضع نفسه للنظام المدرسي. ولم يكن مثابراً مجدداً. ولو فعل لحقق نتائج أكبر بكثير لأنه من صنف الموهوبين^(٢٦)."

هنالك معلم آخر في ثانوية لينز كان ذا تأثير قوي، بل تأثير مصيري على الفتى كما ظهر فيما بعد. وهو مدرس التاريخ الدكتور (ليوبولد پويتش)، جاء من منطقة الحدود في جنوبي ألمانيا التي تنطق بالألمانية وتجاور السلاف الجنوبيين جعلته تجاربه في الكفاح العنصري هناك، قومياً متعصباً. وكان قبل قدومه الى لينز قد علّم في ماربورگ Marburg التي سميت ماريبور Maribor بعد ضمها الى يوغوسلافيا عقب الحرب العالمية الأولى. ومع إن الدكتور لم يمنح تلميذه غير متوسط الدرجات في مادة التاريخ فهو الوحيد بين المعلمين الذي أثنى عليه هتلر في (كفاحي) ثناءً حاراً ولم يتردد في الإقرار بدينه لهذا الرجل.

"كان عاملاً حاسماً في مستقبل حياتي أن وهبني حسن الحظ مدرساً فهم كما فهمت القلة النادرة. هذا المبدأ... مبدأ الاحتفاظ بالجواهر وإطراح القشور... وجدت مطلبي الأسمى متحققاً بالتمام والكمال في شخص معلمي الدكتور ليوبولد پويتش Leopold Poesch في ثانوية لينز. كان إنساناً مهذباً رقيقاً كبير السن لكنه شديد صارم في الوقت نفسه، قادر على جلب إنتباهنا إليه بذلاقة لسانه. فيستحوذ على عقولنا ويسحرنا سحراً وأنا أذكر الى الآن بخالص من عاطفتي هذا الرجل الشائب الذي كان يجعلنا أحياناً ننسى الحاضر في لظى كلماته فينقلنا بسحر بيانه الى الماضي ويقلب ضباب أحداث تاريخ ما قبل ألف سنة الى حقائق تاريخية تنبض بالحياة والثبات. وكنا نجلس مرهفي الأذان ونار الحماسة تضطرم في جوانحنا معظم الأحيان. وقد تتساقط الدموع من أعيننا أحياناً... كان يستخدم براعم تعصينا القومي كوسيلة لتثقيفنا ولطالما إستصرخ فينا مشاعرنا القومية.

هذا المعلم جعل التاريخ أحب الدروس الى نفسي. في الواقع إنني إنقلبت منذ ذلك الوقت، شخصاً ثورياً دون قصد منه أو تعمد^(٢٧)."

وفي عام ١٩٣٨، بعد زهاء خمسة وثلاثين عاماً. عرج هتلر مستشار الرايخ لزيارة معلمه الهرم المتقاعد في (كلاگنفورت Klagenfurt) أثناء ما كان يجوب أنحاء النمسا كالفاتحين بعد ضمها الى الرايخ. وقد سرّ حين وجد أستاذه الشيخ عضواً في فرقة الصاعقة النازية السرية التي كانت محظورة

٢٦- المرجع نفسه، ص ٤٩.

٢٧- كفاحي، ص ١٤-١٥.

في النمسا أيام الإستقلال. وبادله الحديث على إنفراد زهاء ساعة وقال لبعض أعضاء الحزب بعدها: "إنكم لاتدرون كم أنا مدين لهذا الشيخ"^(٢٨).

قضى (ألواز هتلر) نحبه على إثر نرف رئوي في ٣ كانون الثاني ١٩٠٣ وقد بلغ الخامسة والستين. أصابته النوبة وهو يمارس جولته الصباحية المعتادة ولفظ آخر أنفاسه بعد دقائق في حان مجاور بين ذراعي أحد الجيران. وعندما وقعت عليه أنظار ابنه البالغ ثلاثة عشر عاماً إنهار وطفق يبكي^(٢٩).

وإنتقلت أمه التي كانت قد بلغت الثانية والأربعين الى شقة متواضعة في أروفاهر Urfahr في ضواحي لينز. وحاولت العيش مع ولديها أدولف وپاولا عيشة الكفاف على المدخرات القليلة وراتب التقاعد. وذكر هتلر في (كفاحي) أنها كانت تشعر بواجبها في تعليمه، تحقيقاً لرغبة أبيه الراحل وعلق بقوله: "وبكلمة أخرى أن تجعلني أتلقى دراسة تؤهلني الى الوظيفة". ومع إن الأرملة الشابة كانت مخلصه لابنها ومع أنه كان يحبها غاية الحب. فقد ظل -على حد قوله- "أصح عزمًا وأشد إصراراً على أن لايتخذ الوظيفة مسلكاً". وبقي الخلاف قائماً بين الأم والإبن رغم حبهما المتبادل العميق وواصل أدولف إهمال الدراسة.

"ثم أقبل المرض لإنقاذي من حيث لم يكن متوقفاً فقرر مستقبلي ووضع حداً للخلاف العائلي"^(٣٠). إن مرض الرئة الذي أبتلي به هتلر وهو في السادسة عشرة ألجأه الى ترك الدراسة سنة واحدة على أقل تقدير. وقضى هذه الفترة في قرية الأسرة "شبيتال" وحل في منزل خالته تريزا شميدت القروية. وبعد شفائه داوم في الثانوية الرسمية فترة الشتاء القصيرة. ويظهر من آخر التقارير المدرسية عنه المؤرخ ١٦ أيلول ١٩٠٥ أن درجاته في اللغة الألمانية والكيمياء والفيزياء والهندسة والرسم الهندسي متوسطة وفي التاريخ والجغرافية كانت "مُرضية". وفي الرسم "ممتازة". وغلبه شعور من الفرح لقرب تركه المدرسة الى غير رجعة حتى إنه احتفل بهذه المناسبة بشربه الخمر الى حد السكر. وذكر في أواخر أيامه أن بائعة حليب عثرت عليه وقت الفجر مطروحاً في قارعة الطريق خارج قرية (شتيبير) فأعانتة على العودة وعندها حلف ميميناً أن لايفعلها ثانية^(٣١).

وحافظ على يمينه وصار كارهاً كل شراب مسكر، لايدخن التبغ، نباتياً من قمة رأسه الى أخمص قدميه. أولاً بدافع الحاجة لأنه كان متشرداً عاطلاً في فيينا ومونيخ لايمك شروي نقيب، وأخيراً بدافع من العقيدة.

ووصف السنتين أو الثلاث التالية "بأسعد أيام حياته"^(٣٢) حيث أن أمه وأحد أقربائه إقترحا أن

٢٨- كويتشيك المرجع السالف، ص٥٢. ومذكرات هتلر السرية، ص٥٦٧.

٢٩- كويتشيك المرجع السالف، ص٢٤.

٣٠- كفاحي، ص١٨.

٣١- قص حكايته هذه عن نفسه. في مناسبة من مناسبات إستعادة ذكرياته. في مساء يوم ٩/٨ كانون الثاني سنة ١٩٤٢. في مقر القيادة العليا (أحاديث هتلر السرية)، ص١٦٠.

٣٢- "تلك هي أسعد أيامي، وتبدو لي وكأنها حلم..." كفاحي، ص١٨. وذكر في رسالة له الى صديق الصبا كويتشيك مؤرخة في ٤ آب ١٩٣٣ بعد صيرورته مستشاراً بستة أشهر "إني لفي غاية السرور... لإحياء تلك الذكريات =

يخرج الى الدنيا ويتعلم صناعة بينما كان هو يمني نفسه بصيرورته فناً ويتطلع الى قضاء أيام تعطل وتسكع طيب على ضفاف الدانوب. ولم ينس قط تلك الأيام "الرخية الناعمة" عندما كان يستمتع بطيب الحياة وهو "عزيز أمه"^(٣٣) ما بين السادسة عشرة والتاسعة عشرة. ومع إن الأرملة العليله كانت تلقي صعوبة في سد حاجات الأسرة من الدخل المتواضع، فإن أدولف لم يساهم بشيء في إعانتها عن طريق مواولة صنعة، لأن فكرة الإرتزاق من عمل منظم كانت تعافها نفسه وبقي كذلك طوال حياته.

وكان تحرره من العمل هو الذي جعل تلك السنوات الأخيرة من عهد صباه سعيدة هائلة. ذلك التحرر الذي منحه حرية التأمل ونسج الأحلام وقضاء أيام بطولها يتجول في شوارع المدينة وفي الريف، ملقياً خطبه على رفيقه في مساويء الدنيا والحلول التي تؤدي الى إصلاحها. وكان يقضي لياليه يقرأ كتاباً أو واقفاً في آخر صفوف مقاعد قاعة من قاعات الأوبرا في لينز وقيينا مصغياً بكل جوارحه الى موسيقى (ريچارد فاگنر) الصوفية الوثنية.

ووصفه صديق من أصدقاء الصبا فيما بعد بأنه "فتى شاحب هزيل ضامر حياؤه غير إعتيادي. إنطوائي يحب العزلة. كان ينفجر إنفجارات مفاجئة وبغضب من أولئك الذين لا يوافقونه رأيه غضباً هستيرياً! وتوهم طوال أربع سنوات بأنه مدله بحب شقراء فاتنة تدعى "ستيفاني" وكثيراً ما كان يبخلق فيها بشغف وهي تسير غادية رائحة في شارع لاند Landstrasse في لينز مع أمها، إلا أنه لم يحاول الكلام معها مفضلاً إبقاءها ككثير من الأشياء - في زوايا العالم المظلم لخياالاته المتضخمة. وظهرت فيما لا يحصى من قصائد الغزل والتشبيب التي كتبها ولم يرسلها قط (كانت واحدة من غزلياته بعنوان "ترنيمه الى المحبوب") وكان يصر على إنشادها لصديقه الفتى الصبور أوگست كويبتشك^(٣٤). وقد ظهرت فيها محبوبته ترتدي ثوباً فضفاضاً من



فاگنر

= معك، ذكريات أجمل سني حياتي". كويبتشك (هتلر الفتى الذي عرفته) ص ٢٧٣.

٣٣- المرجع السالف، ص ٢١.

٣٤- إن كويبتشك الذي يبدو الصديق الوحيد لصبا هتلر، قدم في كتابه (هتلر الفتى الذي عرفته) صورة هامة لرفيقه في السنوات الأربع التي سبقت بلوغه التاسعة عشرة. وقد بلغ به المدى أن تناول بالوصف حياة تشرده في قيينا. وهي صورة ملأت ثغرة في سيرة حياة الزعيم الألماني- بل صححت كثيراً من الإنطباعات التي سادت قبلئذ عن تصرفاته الأولى. وشخصية كويبتشك لاتشبهه شخصية هتلر في شيء. فقد كان سعيداً في منزله في لينز وورث صناعة التنجيد عن أبيه كما تابع بجد دراسة الموسيقى وتخرج بدرجة شرف من معهد كونسرفاتوار قيينا وبدأ مستقبلاً يبشر بالخير كمؤلف موسيقي وقائد أوركسترا لكن الحرب العظمى الأولى قضت على آماله.

القطيفة الزرقاء الغامقة وتمتطي صهوة جواد أبيض تجري به فوق المروج المزهرة^(٣٥). ومع إصراره على أن يصير فناناً، إن لم يكن في الرسم ففي الهندسة المعمارية، فقد مال بكليته الى السياسة وهو في السادسة عشرة. في ذلك كان حقه على آل هابسبورغ عنيفاً. وأبغض سائر الشعوب غير الجرمانية في الإمبراطورية النمساوية-الهنغارية متعددة الأجناس التي خضعت لهذا العرش. وقابل هذا البغض الشديد حب جنوني لكل ما هو جرمني. وهكذا إستقر رأيه في السادسة عشرة ليبقى غير متحول عنه الى آخر لحظة من حياته. ألماني متعصب جداً لقوميته. ويظهر أن شخصيته لم يكن فيها من نزق الشباب وروحه اللأبالية رغم بطالته. وكان ينوء بحمل مشكلات الدنيا كلها "كان دائماً ضد شيء من الأشياء، وعلى خلاف تام مع الدنيا... لم أجده مرة يأخذ الأمور مأخذاً هيناً" كما عبر عنه كويتشك فيما بعد^(٣٦). في تلك الفترة أصبح الفتى الذي ضاق ذرعاً بالمدرسة، قارئاً نهماً مولعاً بالمطالعة. وإنتمى الى جمعية مكتبة الثقافة للبالغين) في لينز وفاز بعضوية (جمعية المتحف) ليستتيع كتبها بأعداد ضخمة ولا يذكره صديقه إلا وهو محاط بالكتب. وكان أحبها لديه كتب التاريخ الجرمني وأساطير الجرمان^(٣٧).

وكانت لينز مدينة إقليمية. لذلك أخذت فيينا العاصمة الوضاءة، حاضرة الإمبراطورية تجتذبه وتوميء بإصبعها الى طموحه الفني وخياله. ولم يمر به عيد ميلاده السابع عشر حتى كانت قدماه تغدان السير به الى فيينا وفي جيبه دربهات جمعتها له أمه وأقاربه لقضاء شهرين فيها. لقد أذهلته المدينة عند زيارته الأولى. وإن أصبحت فيما بعد مسرحاً لأفسى سني حياته حيث كان يعيش فعلاً عيشة المتشرد على قارعة الطريق. راح يتجول في شوارعها أياماً كوامل دون هدف، وهو مشدود بمنابر البنائيات الفخمة التي تحيط به (الدائرة)، وقد طفئ على أحاسيسه حال من الوحدة مستمرة لما رآه من المتاحف ودور الأوبرا والمسارح.

وراجع حول الدخول في أكاديمية فيينا للفنون الجميلة بعد قدومه الأول بسنة واحدة. إذ عاد إليها في تشرين الأول ١٩٠٧ ليدخل إمتحان القبول، وهو أولى الخطوات العملية لتحقيق أحلامه في فن الرسم وكان في الثامنة عشرة، مفعماً بالأمال العراض. لكنها سُحقت وتطايرت هباء، وتروي القصة نتائج إمتحان القبول كما هي مدونة:

"التالية أسماؤهم شاركوا في الإمتحان، وكانت نتائجهم غير مرضية أو لم يُقبلوا... أدولف هتلر - براناو أم إن- مولود في ٢٠ نيسان ١٨٨٩- ألماني- كاثوليكي- الأب موظف- تحصيله الدراسي: أربعة صفوف في الثانوية. الدرجات قليلة. إختبار الرسم: غير مرضٍ"^(٣٨). وعاود الكرة وكانت رسومه تافهة الى حد لم تؤهله الى المشاركة في الإمتحانات هذه المرة. فكانت

٣٥- كويتشك المرجع نفسه، ص ٥٩.

٣٦- المرجع السالف، ص ٦٧.

٣٧- المرجع السالف، ص ٥٤-٥٥.

٣٨- كونراد هايدن "الفوهرر"، ص ٥٢.

ضربة قاصمة لطموح فني كطموحه- كما ذكر فيما بعد. لأنه مقتنع تماماً كما نوّه في (كفاحي)،
ولذلك طلب إيضاحاً من مسجل الكلية:

"أكد لي هذا السيد إن الرسوم التي عرضتها برهنت بما لا يقبل الشك أنني لأصلح لمزاولة فن الرسم.
وإن كفائي كما أوضحت له الرسوم تكمن في الهندسة المعمارية، وقال لي لا شأن لك قط في
أكاديمية الرسم وميدانك هو مدرسة الهندسة المعمارية"^(٣٩).

وإضطر الفتى الى الرضوخ لحكم القدر. لكن ما عتم أن أدرك وهو حزين أن فشله في نبيل شهادة
التخرج الثانوية سيحول بينه وبين دخوله مدرسة الهندسة المعمارية.

كانت أمه في ذلك الزمن تعاني سكرات الموت بدءاً سرطان الثدي فعاد الى لينز ليكون بقرها.
ظلت كلارا وأقاربها يساعدون الفتى ثلاث سنوات بعد تركه المدرسة، ولم يروا فائدة منها. وفي ٣١
كانون الثاني ١٩٠٨ والمدينة ترفل في حلة أعياد الميلاد دخلت أم أدولف في النزاع الأخير. ودفنت
بعد يومين في (ليوندنغ) قرب زوجها. وكانت وفاتها للشباب ذي التسعة عشر عاماً "ضربة هائلة...
لقد احترمت أبي وقدسسته إلا أنني أحببت أمي... وموتها وضع نهاية مفاجئة لكل خططي الواسعة
الأرجاء... وألجأني الفقر والحقيقة القاسية الى إتخاذ قرار سريع... وجدت نفسي أواجه مشكلة تحصيل
رزقي بوسيلة من الوسائل"^(٤٠).

وسيلة من الوسائل! لم يكن يتقن صناعة. فضلاً عن إحتقاره العمل اليدوي. لم يحاول قط أن
يتكسب فلساً واحداً. إلا أن عزمته لم تشبث فما كان منه إلا أن ودع أقرباءه قائلاً إنه لن يعود إليهم
إلا وهو ناجح.

"سارت بي قدماي الى قيينا وليس معي غير حقيبة فيها ثيابي وقمصاني الداخلية وفي عزم
لايلين. كنت أريد أن أنتزع من يد القدر ما إنتزعه أبي قبل خمسين عاماً. كنت أمل أن أصبح (شيئاً
مذكوراً) لكن ليس كموظف مدني أبداً"^(٤١).

-٤-

"أكاب فترة في حياتي"

كانت السنوات الأربع التالية من ١٩٠٩-١٩١٣، من أحفل فترات حياة هذا الشاب النازح من
لينز - بالشقاء والفاقة. في هذه السنين الأخيرة العابرة وقبل سقوط بيت هابسبورگ Hapsburg ونهاية
دور قيينا كعاصمة لإمبراطورية قلب أوروبا التي تضم إثنتين وخمسين مليوناً من البشر. كانت هذه
المدينة الفيحاء ترفل في حلل البهجة والرفعة لاتدانيه فيهما أية عاصمة من عواصم الدنيا. فهي

٣٩- كفاحي، ص ٢٠.

٤٠- المرجع السالف، ص ١٨.

٤١- المرجع السالف، ص ١٨.

لا تسمو على الأخريات بشمرات الهندسة المعمارية المختارة ولا بتماثيلها فقط، بل بحبها للأنس واللهو، وبخفة روحها وروح سكانها المهذبين الرقيقين. إنها لتشيع جواً من طيب الحياة لاتعرفه أية مدينة أخرى من مدن الغرب.

تقع فيينا على ضفاف الدانوب الأزرق وتحتضنها تلال فينرفالد Wienerwald المكسوة بالغابات المزدانة بالكروم الخضراء الصفراء. إنه لموقع جمال نادر من الطبيعة يسحر الزائر ويحمل أهالي المدينة على الإيمان بمحابة العناية الإلهية في إختيار هذا الموضع لمدينتهم. الموسيقى تملأ الفضاء، موسيقى أبنائها الموهوبين العباقرة، أعظم من عرفت أوروبا منهم أمثال هايدن Hyden وموزار Mozart وبيتهوفن Beethoven وشوبرت Schubert وتأتي في ختام "الصيف الهندي" هذا أنغام فالس ابن فيينا المعبود "يوهان شتراوس Johann Strauss" بألحانها العذبة الساحرة لتمتع أناساً أنعم عليهم بهذه الحياة البهيجة فطبعتهم بطابعها فكانت عيشتهم نفسها أشبه شيء بحلم متعاقب جميل. يقضي أهل المدينة المرحون أيامهم ولياليهم برقصات الفالس والغزل وتبادل الأحاديث الطلية الرقيقة في المشارب والمقاهي الهادئة وينصتون الى الموسيقى ويشاهدون التمثيليات في المسارح ودور الأوبرات والأوبريتات ويتناجون ويتعاطون أفانين الحب منفقين الجانب الأكبر من حياتهم في اللهو والأحلام.

وما لا مفر منه أن تُساس هذه الإمبراطورية المترامية، ولهذا وُجد جيش وأسطول وخطوط مواصلات حسنة وأعمال تجارية رائجة وحرف وصناعات لكن قلّ من عمّل ساعات إضافية من أهالي فيينا. أو حتى من قضى دواماً كاملاً في عمله.

وتم بالطبع الجانب المظلم القبيح من الصورة. فللمدينة فقراؤها الذين يعيشون في أحقر البيوت ويرتدون الأسمال ولايسدون رمقهم كسائر المدن الأخرى. على إنها كانت مدينة بطرة مرقّهة وأعظم مركز صناعي في أواسط أوروبا فضلاً عن كونها عاصمة إمبراطورية. كان ثراؤها يهطل كالمنزل على الناس مدراراً ثم يرشح منه القليل الى الأسفل. فكتلة الطبقة الوسطى العظيمة كانت مسيطرة على المدينة سيطرة سياسية تامة. وكان ميدان العمل ينتظم في نقابات وفي حزب سياسي خاص به. هو "الحزب الإشتراكي الديمقراطي". هنالك خميرة تعمل في حياة المدينة التي تعد من السكان مليونين. فقد إنطلقت الديمقراطية لتندفع أوتوقراطية آل هابسبورگ العتيقة الى الخلف وفتحت الثقافة والتعليم أبوابهما للجماهير حتى كان متاحاً لأي فتى خالي الوفاض أن ينال تعليماً عالياً أو يظفر بمورد رزق حسن ويعيش كما يعيش مليون من العمال الأجراء في الظل الوارف الحضاري الذي أسبغته العاصمة على سكانها. تلك هي الحالة في فيينا عندما دخلها هتلر في العام ١٩٠٩، ودونك صديقه الأوحده (كويبتشك) الذي يساويه فقراً وضعةً أما تراه كيف يكون نفسه تكويناً حسناً في أكاديمية الموسيقى؟ ولم يخفف هتلر الشاب من غلوائه في محاولته دخول مدرسة الهندسة المعمارية وهي ما برحت مفتوحة الأبواب أمامه رغم إفتقاره الى شهادة البكلوريا. فالذين يظهرون مواهب خاصة يُقبلون بصرف النظر عن الشهادة. إلا أنه لم يتقدم بطلب على قدر ما علمنا ولم يكن مهتماً بمزاولة حرفة خاصة أو مباشرة أي عمل منتظم، وفضلّ التنقل من عمل الى آخر لا يتسم بطابع الإستمرار، كجرف أكداس الثلج

ونفض السجاد وحمل حقائب المسافرين من محطة سكة الحديد الغربية، وزاول عمل البناء بضعة أيام. وفي تشرين الثاني ١٩٠٩، بعد أقل من عام على وصوله فيينا "لتجربة حظوظه" - أجبر على ترك غرفته المفروشة في حي سيمون دنك كاسه Simon Denk Gasse. وبقي يعيش طوال السنين الأربع التالية في بيوت تدفع أجور غرفها يومياً أو منازل توازيها وضاعة من الأحياء الدنيا في "منطقة -٢٧ ملدمانشراسه Meldmannstrasse العشرين" من فيينا بالقرب من الدانوب. يحتال على سد رمقه بتناول الشوربا المجانية من مطبخ البلدية الخيرية.

ولا عجب أن وجدناه يكتب بعد عشرين سنة ما يلي: "برى كثير من الخلق أن فيينا هي موطن اللهو البريء ومصدره، وساحة عيد لطلاب اللهو والقصف. إلا أنها تمثل لي ذكرى حية لأكأب فترة من حياتي". وإلى هذا اليوم لاتشيع المدينة في نفسي غير ذكريات حزينة، فإسم هذه العاصمة الروائي Phaeacial يعني عندي خمس سنوات من الضنى والشقاء. خمس سنوات اضطرت فيها الى كسب رزقي كعامل بأجر يومي ثم نقاش أصباغ صغير. وما كنت أحصل عليه لا يكفي لتهدئة جوعي اليومي" (٤٢).

"في تلك الأيام كان الجوع زميلي الدائم... كان الجوع في ذلك الزمن حارسي الأمين الخاص. لايتركني لحظة واحدة. يشاركني كل ما لدي. كانت حياتي كفاحاً مستمراً مع هذا العشير غليظ القلب" (٤٣).

ومع ذلك كله فلم يلجئه هذا الضيق الى بذل جهد كبير لإيجاد عمل منتظم وقد أوضح السبب لتفاعسه في كفاحي بقوله أنه كان يشعر بخوف البرجوازي الصغير من الإنحدار الى وهدة البروليتاريا والتسقل الى طبقة الشغيلة الكادحين وهو خوف كان ينهش قلبه وقد إستغله فيما بعد لبناء حزبه الإشتراكي القومي على أسس واسعة من هذه الطبقة التي لايقودها أحد، الطبقة المهمل ذات الباقة البيضاء والرزق القليل التي كانت ملايينها تتلذذ بالوهم المضحك في أنها أسمى إجتماعياً من طبقة العمال على الأقل!

ومع ذكره أنه إعتد في رزقه مدة من الزمن على عمله "نقاشاً صغيراً" إلا أنه لايزودنا في سيرته بأية تفاصيل، خلا قوله أن حالته المالية تحسنت بين سنتي ١٩٠٩-١٩١٠ ولم يعد مضطراً لمزاولة الأعمال اليدوية البسيطة. قال: "في ذلك الزمن كنت أزاول عملاً مستقلاً، كنت رساماً صغيراً ونقاشاً بالألوان المائية" (٤٤).

في هذا القول بعض التضليل كغيره مما ورد كثيراً في (كفاحي) عن سيرته الخاصة. ومع أن الأدلة التي عرضها من عرفه في ذلك الزمن لاتبدو أكثر صدقاً مما ذكره هو. فما جُمع من هذه المسائل إن يلصق بعبئه ببعض - يكفي ليقدم صورة قد تكون أدق، هي بالتأكيد أكمل (٤٥).

٤٢- المرجع السالف، ص ٢١.

٤٣- المرجع السالف، ص ٢١-٢٢.

٤٤- المرجع السالف، ص ٣٤.

٤٥- أنظر: "نهاية خرافة هتلر" لمؤلفه جوزيف غرايبر Josef Gereiner الذي كان يعرف هتلر معرفة شخصية لفترة من =

لم يكن أدولف هتلر نقاش بيوت كما عاب عليه خصومه. وهو من الأعمال شبه الشابتة أو بكلمة أخرى ليس هناك دليل على مزاولته تلك الصنعة، وكل ما عمله هو رسم لوحات ساذجة صغيرة لمناظر فيينا تلوح فيها بنايات المشهورة مثل "كاتدرائية القديس إستفان" و"دار الأوبرا" وقصر شوينبورن Schoenburn والحرائب الرومانية في حديقة شوينبورن. وعلى ما يقوله أصدقائه أنه كان يستنسخها عن صور ورسوم أخرى ويظهر أنه كان عاجزاً عن النقل رأساً من الطبيعة. وصوره تميل إلى الجمود مستطيلة مثل تصاميم مهندس معماري، مضطربة، غير متقنة بل تقريبية تتسم بطابع الإهمال أما أشكال الناس التي يحشرها فيها أحياناً فهي سيئة الرسم إلى الحد الذي تذكر المرء بصور الكاريكاتور الصحفية. وقد وجدت ملحوظة كنت قد دونتها مرة على إثر تقليبي محفوظة فيها رسوم هتلر الأصلية "وجه قليلة فجة. وجه واحد يشبه الغول". ويصف "هايدن" أشكال الأشخاص بقوله "إنها تقف مثل غرارات محشوة خارج قصور فخمة شامخة"^(٤٦).

وربما كان هتلر يبيع هذه اللوحات التافهة من صغار التجار، لتزيين الجدران، أو من أولئك الباعة الذين يضعونها في إطارات خالية معدة للبيع أو من صناع الأرائك الخشبية والمقاعد لتثبيتها وراء معروضاتهم الرخيصة من الكراسي والأرائك السائدة آنذاك. وأمكن هتلر أن يوسع نطاق تجارته برسم صور إعلانات للبقالين عن بضائعهم مثل المنتجات والمستحضرات: مسحوق تيدي Teddy المعروف. وثم إعلان واحد أكسبه قليلاً من المال في عيد الميلاد كان قد رسمه وهو يمثل (سانتا كلوز) يبيع شموعاً ملونة بألوان زاهية وثم إعلان آخر يمثل برج كنيسة "سان إستيفان" الغوطي الذي لم يكل هتلر عن إستنساخه - خارجاً من كومة من قوالب الصابون. ذلك هو مدى إنجازات هتلر الفنية. ومع ذلك فقد ظل يعتبر نفسه فناناً إلى آخر حياته.

كان يبدو بلاشك مثل (الكاولي) في سنوات التشرد بقيينا. والذين عرفوه يومذاك لا بد يذكرونه بمعطفه الأسود الطويل الرث المنسدل حتى كاحليه، الشبيه بالقفطان. وكان قد تكرم عليه بائع ثياب مستعملة يهودي هنغاري من أولئك البائسين زملائه الذين يسكنون تلك الفنادق الحفيرة فأصبح له صديقاً بحكم الجيرة وهم أيضاً يتذكرون بنظونه الأسود كثير البقع الذي كان لا ينزعه على مدار السنة وكان يسرح شعره الوبري اللون إلى أسفل ليغطي بعض جبينه وظل مقيماً على ذلك فيما بعد. وكان يدفع بقسم منه إلى الخلف مشعثاً فوق ياقته القذرة. ونادراً ما بدا حليق الشعر أو الذقن. وكانت وجنتاه وذقنه يكسوها الشعر الأسود النابت كأنه بداية لحية. وإن نحن صدقنا "هانش" الذي أصبح فيما بعد فناناً متوسط الشهرة. فإن هتلر كان يشبه طيفاً ندر مثيله بين عالم النصارى^(٤٧).

= حياته في فيينا. وأنظر أيضاً "هتلر البيدق" لمؤلفه رودولف أولدن Rudolf Olden. ويتضمن هذا الكتاب أقوالاً عن راينهولد هانش Reinhold Hanisch. وهو متشرد من بلاد السويد كان زميلاً لهتلر في إحدى غرف منازل الإيجار اليومية للرجال. وكان يبيع صور هتلر عن طريق الدلالة. ومنه أيضاً إقتبس كونراد هايدن في كتابه (الزعيم) وقائع المحكمة الخاصة بالدعوى التي رفعها هتلر على المتشرد لغشه في سهمه من ثمن بيع اللوحات التي زعم هانش أنه كان يبيعها لحساب هتلر.

٤٦- هايدن "الزعيم" ص ٥٤.

٤٧- المرجع السالف، ص ٦٨.

وخالف سلوك بعض الشباب المحطمين الذين كان يعايشهم في أنه إبتعد عن رذائل الشباب المعروفة. فلم يكن يدخن. ولا يقرب النساء لا لشذوذ جنسي فيه، بل لحياء طبيعي على قدر ما علمنا. وذكر في (كفاحي) بلمحة نادرة من لمحات النكتة: "أعتقد أن من عرفني في تلك الأيام توهمني شخصاً شاذاً"^(٤٨).

تذكّر هؤلاء كما تذكّر معلموه تلك العينين الواسعتين النفاذتين الحادثتين اللتين تبرزان على كل قسماات الوجه وتعبران عن شيء كامن في شخصيته تناقض الهيئته الزرية المتشرد قدر رث الثياب. كما تذكروا أن الشاب على كسله في العمل الجسدي، قاريء نهم يقضي جل أيامه ولباليه في إتهام الكتب.

"في ذلك الزمن كنت كثير المطالعة بشوق وإستغراق وقد أوقفت على دراساتي كل وقت فراغي المتخلف لي من العمل وبهذه الوسيلة بنيت في سنين قليلة أسس المعرفة التي مازلت أمتح من معيها حتى اليوم"^(٤٩). وهو يشرح في (كفاحي) فن القراءة فيقول:

"وبالقراءة أعني ولاشك، قارئاً يختلف عن الرجل العادي المعروف لدينا بإسم المشقف (الإنتلجنسيا). لقد عرفت أناساً يقرأون كثيراً جداً... ومع هذا فهم في رأيي ليسوا بالقارئين الجيدين. صحيح أنهم يختزنون مقداراً هائلاً من المعارف. إلا أن أدمغتهم عجزت عن تنظيم المواد التي إختزنوها وعن هضمها. ومن ناحية أخرى فمن ملك ناصية فن القراءة الصحيح سوف يدرك بالغريزة وبأسرع ما يمكن، كل ما يستأهل الحفظ دائماً. إمّا لأنه يتفق وأغراضه، وإمّا لأنه يستحق المعرفة بصورة عامة... إن فن القراءة مثل فن التعلم - وهو هذا: الإحتفاظ بكل ما هو جوهري ونسيان ما هو غير جوهري... وهذا النوع من القراءة هو وحده ذو غاية وذو معنى... وبنظري الى فترة إقامتي في فيينا من هذه الزاوية فإني أجدها خصبة قيّمة"^(٥٠).

قيّمة لأي غرض؟ كان جواب هتلر على هذا أنه تعلم من القراءة ومن حياته مع الفقراء المعدمين في فيينا كل ما إحتاج الى معرفته لحياته القادمة.

"كانت فيينا ومازالت أقسى مدرسة في حياتي وأوسعها أفقاً. وضعت قدمي في المدينة وأنا شبه فتى وغادرتها وأنا رجل هاديء رزين. في تلك الفترة بدأ يتجسم في مخيلتي رسم للعالم وفلسفة أصبحت فيما بعد الأساس الصواني لكل تصرفاتي. وكان علي أن أتعلم قليلاً بالإضافة الى ما خلقت. ولم أغير شيئاً"^(٥١).

ماذا علمته مدرسة الحياة القاسية التي وضعتها فيينا أمامه بكل سخاء؟ ما هي الآراء التي إكتسبها هناك من المطالعة، ومن تجاربه التي ستبقى على حد قوله - ثابتة بجوهرها الى الأخير؟ أما وأن معظمها كان ضحلاً مهلهلاً، شاذاً في كثير من الأحيان لا يقبله العقل، مسموماً بنقيع التحامل

٤٨- كفاحي، ص ٣٤.

٤٩- المرجع السالف ص ٢٢

٥٠- المرجع السالف، ص ٣٥-٣٧.

٥١- المرجع السالف، ص ٢٢ و ١٢٥.

المستهجن. فهذا ما قدر أن يكون واضح المعالم لأي إختبار سطحي بسيط جداً. على أنها هامة لتاريخي هذا كما هي هامة للعالم لأنها الجانب الشكلي للأسس التي بنى عليها الرايخ الثالث ذلك الصرح الذي لن يعتم أن يبدأ هذا المتشرد كثير القراءة بإشادته.

- 5 -

براعم آراء أدولف هتلر

باستثناء واحد منها، لا يمكن أن تعتبر أصيلة، وإنما التقطت مادةً أوليةً من مخيض لبن السياسة النمساوية. وحياة السنوات الأولى من القرن العشرين. كان النظام الملكي على ضفاف الدانوب يلفظ أنفاسه الأخيرة بعلة سوء الهضم، فقد ظلت أقلية من الألمان النمساويين أجيالاً بطولها تحكم إمبراطورية متعددة اللغات والشعوب. وفرضت على هذه الشعوب لغتها وثقافتها. إلا أن قبضتها بدأت تتراخى منذ العام ١٨٤٨ ولم يعد في الإمكان هضم الأقليات. لأن النمسا لم تكن قدراً صالحاً للإذابة. وفي عام ١٨٦٠ شق الطليان عصا الطاعة. وفي عام ١٨٦٧ نال المجرىون المساواة السياسية بالألمان تحت ما يسمى بالعرش الثنائي. ولم تطلع شمس القرن العشرين إلا وتملمت الشعوب السلافية المختلفة كالچيك والسلوفاك والصرب والكروات وغيرها وراحت تنادي بالمساواة أو بالحكم الذاتي القومي على أقل تقدير. وأصبحت الحياة النمساوية تسودها شحنا عنيقة بين القوميات. ولم يكن هذا كل شيء. فالعالم في ثورة إجتماعية أثلورة التي كثيراً ما فاقت النضال القومي عنفاً. فأخذت الطبقات الدنيا المحرومة من حق الإقتراع تطالب بحقها هذا. وراح العمال يطالبون بحق التنظيم النقابي وحق الإضراب للحصول على زيادة في الأجور وشروط عمل أفضل بل طالبوا بحقوقهم السياسية والديمقراطية. وحقق إضراب عام نتائجه المرجوة فمُنح حق الإقتراع للذكور وبهذا إنتهت السيادة السياسية للألمان النمساويين الذين لم يكن مجموعهم يزيد على ثلث المجموع العام في الجزء النمساوي من الإمبراطورية.

كان الشاب القومي النازح من لينز يعارض هذه التطورات معارضة شديدة، ويرى أن الإمبراطورية تغرق في "حمأة مستنقع قذر" ولا يمكن إنتشالها إلا إذا استعاد الشعب الألماني المختار السيد سلطته المطلقة أما الشعوب غير الألمانية ولاسيما السلاف- وبخاصة الچيك، فهي شعوب منحطة ومن واجب الألمان أن يحكموها بيد من حديد. ومن الضروري إلغاء البرلمان ووضع حد نهائي لكل هذا الهراء الديمقراطي. ومع أنه لم يساهم قط في شؤون السياسة، إلا أنه كان يتابع نشاط الأحزاب السياسية الثلاثة الكبرى في النمسا وهي: الحزب الديمقراطي الإشتراكي، والحزب الإشتراكي المسيحي، وحزب كل ألمانيا القومي. وبدأت تتكون في رأس هذا الأشعث الأغبر كثير التردد على مطابخ البلدية الخيرية حدة ذهن سياسية ساعدته على أن يرى بوضوح مدهش مواطن الضعف والقوة في الحركات السياسية المعاصرة وأهلته عند نضوجها الى تبوء مركز أشد سياسيي ألمانيا دراية وحكمة.

إحتك أولاً بالديمقراطي الإشتراكي فنشأ فيه بغض عميق لهذا الحزب وقال: "وما زادني إشمئزازاً منه موقفه العدائي من العمل للمحافظة على الروح الألمانية ومداراته المشينة للرفاق السلاف. لقد حصلت في أشهر قلائل على ما يحتاج تحصيله الى عشرات السنين: قحبة^(٥٢) ذات داء وييل تتجلبب بشوب الفضيلة الإشتراكية والمحبة الأخوية"^(٥٣).

ومع هذا كله فقد كان بدرجة من الذكاء بحيث قنع شعوره بالسخط على حزب الطبقة العاملة هذا، كيما يفحص بدقة أسباب نجاحه الجماهيري. ثم إستنتج عدة أسباب لذلك، وقد تذكرها في السنوات التالية وإستفاد منها في بناء الحزب القومي الإشتراكي الألماني.

وذكر في (كفاحي) أنه شاهد يوماً مظاهرة عمالية في فيينا: "بقيت ساعتين كاملتين أحرق بعين لا تريم وأنفاس مبهورة في ذلك التين البشري الجبار يمر ببطء. وأخيراً تركت موقفني وفي نفسي هياج عنيف وجررت قدمي جراً الى المنزل"^(٥٤).

وفي منزله راح يقرأ أدبيات الديمقراطيين الإشتراكيين وينعم النظر في خطب زعمائهم وتدارس أساليب تنظيمهم ويطيل التفكير في تكتيكهم السياسي والسايكولوجي. ويتأمل في النتائج ليخرج منها بثلاث فسرت له سر نجاحهم: الأولى؛ أنهم عرفوا كيف يخلقون حركة جماهيرية لولاها لايسوى الحزب السياسي شروى نقيير. والثانية؛ أنهم أتقنوا فن الدعاية بين الجماهير. والثالثة؛ أنهم عرفوا قيمة إستخدام ما أطلق عليه عبارة "الإرهاب الروحي والجسدي".

هذا الإستنتاج الثالث المبني بالتأكيد على سوء فهم وخطأ في الملاحظة مختلطاً بتعامله الكبير. إستهوى هتلر الشاب وأوقعه في إساره. وقدر له بعد عشر سنوات أن يضعه موضع التنفيذ النافع ليصل به الى غاياته. "لقد تفهمت الإرهاب الروحي الذي قامسه هذه الحركة ولاسيما على الطبقة البرجوازية التي لم تكن كفوءة عقلياً أو أدبياً للتصدي لأمثال هذه الهجمات. فهي بإشارة واحدة تطلق أساطيل من الأكاذيب والتهم والإفتراءات على أي خصم ذي خطورة، حتى تتحطم أعصاب الأشخاص الذين إستهدفتهم الحملة... ذلكم هو التكتيك المبني على حساب دقيق لكل مواطن من مواطن الضعف البشري في الإنسان. وهو يؤدي حتماً الى النجاح... بالدقة التي تعرضها المسائل الحسابية...".

وتوصلت الى إدراك مماثل لأهمية الإرهاب الجسدي الواقع على الفرد والجماهير... ففي الوقت الذي يُجعل من النصر الناجز أمام أشباعهم نصراً لعدالة قضيتهم. تجد خصمهم المغلوب في معظم الأحوال يائساً من النجاح مقتنعاً بعبث أي مقاومة"^(٥٥). لم يُكتب قط تحليل دقيق مثل هذا التحليل عن التاكتيك النازي - كما طوره هتلر أخيراً.

٥٢ - هذه اللفظة حُذفت من الطبعة الثانية (لكفاحي) وما تلاها ووضع بدلها "وبيئة".

٥٣ - المرجع السالف، ص ٣٨-٣٩.

٥٤ - المرجع السالف، ص ٤١.

٥٥ - المرجع السالف، ص ٤٣-٤٤.

هناك حزبان سياسيان كانا يجتذبان هتلر المستجد اجتذاباً قوياً. وإليهما عزا تنامي قوى ذكائه وتحليله الهاديء الصلب، فقال: "كان أول ولائي لحزب (كل القوميون الألمان) الذي أسسه "جورج ريتير ثون شوينرر George Ritter Von Schoenerer" الذي نزح من إقليمه نفسه قرب شبييتال من النمسا السفلى كأسرة هتلر. في ذلك الحين كان يخوض غمار معركة خندقية للسيطرة الألمانية في الإمبراطورية المتعددة القوميات. ومع إن هتلر وجد (شوينرر) مفكراً عميقاً وإعتنق مبادئ منهاجه بحماسة وهو المنهاج المتعصب للقومية والعدو اللدود للإشتراكية والسامية والمناهي بالوحدة مع ألمانيا. والمعارض لآل هابسبورگ، إلا أن هتلر إستطاع بسرعة أن يقدر أسباب فشل الحزب.

"إن عجز هذه الحركة عن تقدير أهمية المشاكل الإجتماعية، أدى بها الى خسارة الكتل الجماهيرية المناضلة. وإن دخولها البرلمان جردها من قوتها الدافعة الجبارة وحملها أعباء كل مواطن الضعف الغربية عن روحها الأصيلة. وإن إعلانها الحرب على الكنيسة الكاثوليكية... سلب منها ما يفوق حصره من العناصر التي يدعيها القومي لنفسه"^(٥٦).

ومن الدروس التي تلقاها في سني إقامته ثمة، ونسيها عندما تولى زمام السلطة في ألمانيا، ما شدد عليه في كفاحي وفصله بإسهاب وهو: "عقم المحاولة التي يقوم بها الحزب السياسي لمحاربة الكنائس المسيحية" بصرف النظر عن ميدان الإنتقاد الفسيح في أي طائفة من الطوائف الدينية. وقال إثباتاً لخطأ خطة (شوينرر) المعروفة بـ"بعداً عن روما Los-Von-Rom":

"يجب أن لا يغيب عن بال الحزب لحظة واحدة أن الفشل سيكون حليفه إذا تقدم بمنهاج للإصلاح الديني"^(٥٧).

إلا أن غلطة هذا الحزب العظمى في نظره، هو فشله في إثارة حماسة الجماهير وعجزه التام عن فهم نفسية مجموع الشعب. ومن إجماله للأراء التي بدأت تتخذ شكلها التام في ذهنه حين لم تكن سنه تزيد عن الحادية والعشرين يظهر أنه كان الخطأ الأساسي. ولهذا لم يكرره بل تحاماه عندما أسس حزبه السياسي.

هنالك غلطة أخرى لم يرتكبها هتلر، وهي فشل الحزب في كسب عطف مؤسسة قوية واحدة على الأقل من مؤسسات البلاد، فإن لم تكن الكنيسة فالجيش، أو الحكومة، أو فليكن رأس الدولة. إن لم تكسب الحركة السياسية دعماً كهذا، يصعب عليها بل يتعذر أن تقبض على زمام السلطة وهذا ما تبيّنهُ آنذاك، وكان الشيء الذي أمنه لحزبه بالضبط بسعة حيلة وتفكير ثاقب في أيام شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٣ العصبية في برلين وهو الذي مكّنه ومكّن حزبه من السيطرة على شعب عظيم.

كان يوجد في أيام هتلر بقمينا زعيم سياسي واحد فقط يدرك هذا الأمر، فضلاً عن إدراكه ضرورة بناء الحزب على دعامة جماهيرية. ألا وهو الدكتور كارل لوگر Karl Lueger عمدة قيينا، وزعيم الحزب الإشتراكي المسيحي الذي أصبح معلّم هتلر الأعظم وإن لم يلتقيا. ظل يرى فيه: "أعظم رئيس بلدية

٥٦- المرجع السالف، ص ١١٦-١١٧.

٥٧- المرجع السالف، ص ١١٨.

ألماني في كل زمان. رجل سياسة بَدَّ كل من يسمى "بالدبلوماسيين" في عصرنا الحالي... لو عاش الدكتور كارل لوغر في ألمانيا لوضع في مصاف أعظم الأدمغة التي أنجبتها أمتنا"^(٥٨).

ومما لاشك فيه أنه يوجد بعض شبه بين هتلر المستقبل وبين معبود طبقة قيينا الأدنى من الوسطى ذلك الرجل المرح الماكر البدين. حقاً إن (لوغر) أصبح من أقوى ساسة النمسا بوصفه رئيس حزب يستمد قوته من الطبقة البرجوازية الصغيرة الساخطة جمع رأس ماله السياسي - كما فعل هتلر فيما بعد - من شتنة المعاداة للسامية. على أن (لوغر) الذي نشأ نشأة متواضعة وشق طريقه في الجامعة شقاً، كان واسع الثقافة يقرّ خصومه ومنهم اليهود أنه رجل طاهر النفس شهيم كريم متسامح. (وشهد ستيفان سفايغ (Stefan Zweig) الكاتب النمساوي اليهودي الطائر الصيت الذي بدأ اسمه يلمع آنذاك في قيينا بأن (لوغر) لم يكن يسمح بعدائه الرسمي لليهود أن يحول بينه وبين صداقته لهم ومساعدتهم. وذكر سفايغ أن "إدارته لمراق المدينة كانت إدارة أمينة عادلة تماماً، لا بل كانت تتسم بطابع ديمقراطي مثالي... واليهود الذين إهتزوا فرقاً لفوز حزبه المعادي لهم ظلوا يعيشون كما كانوا محتفظين بحقوقهم ومكانتهم كما عاشوا دائماً"^(٥٩).

وهذا ما كان يكرهه فيه هتلر، فقد وجد (لوغر) متسامحاً أكثر مما ينبغي لا يقدر مشكلة اليهود العنصرية تقديراً صائباً. ونعى عليه فشله في تبني وإعتناق فكرة الوحدة الألمانية القومية وكان يشك في أنه يميل الى رجال الدين الكاثوليك الليبويين، كذلك خالجه الشك في إخلاصه لآل هابسبورغ. ألم يرفض الإمبراطور الشيخ (فرانز جوزيف) مرتين متتاليتين المصادقة على تعيين لوغر عمدة للمدينة؟ على إن هتلر لم يسعه إلا الإقرار بعقوبة هذا الرجل الذي عرف كيف ينال عطف الجماهير الشعبية. ويتفهم المشاكل الإجتماعية لعصره. ويدرك أهمية الدعاية والخطابة في إلهاب مشاعر الجمهور، ولم يكتف بعجابه بطريقة تعامله مع الكنيسة القوية الشكيمة: "لقد رسم سياسته بحذق لا مزيد عليه" وكان "سريع الإفادة من كل الوسائل المتيسرة لكسب ود الهيئات والمؤسسات ذات التاريخ المديد. حتى يستمد من هذه المصادر ذات السلطان العريق أعظم ما يمكن من العون لحزبه"^(٦٠). "هاهنا... في قمع جورة تجتمع كل الآراء والتاكتيك التي إستخدمها هتلر فيما بعد لبناء صرح حزبه السياسي وقيادته الى الظفر بالسلطة في ألمانيا. وأصالته تكمن في أنه السياسي اليميني الوحيد الذي طبقها في الميدان الألماني السياسي. فقد كان الحزب النازي الوحيد بين الأحزاب اليمينية والقومية الذي نجح في الإستئثار بأتباع من سواد الشعب. وبعد تحقيقه هذا المطلب راح يكسب ثقة الجيش، ثم ثقة رئيس الجمهورية، وأخيراً ثقة المؤسسات التجارية الضخمة "المؤسسات ذات الجذور التاريخية العريقة" التي مارست سلطاناً عظيماً. وهذا الذي أوصله الى منصب مستشار ألمانيا. إن الدروس التي تلقاها في قيينا كانت مفيدة حقاً.

كان الدكتور (كارل لوغر) خطيباً مفوهاً لسنناً. وحزب كل ألمانيا القومي كان يعوزه خطباء شعبيون

٥٨- المرجع السالف، ص ٥٥، ٦٩، ١٢٢.

٥٩- إستيفان سفايغ "عالم الأمس" ص ٦٣.

٦٠- كفاحي، ص ١٠٠.

ذوو تأثير. وقد لاحظ هتلر هذا النقص وأكد في (كفاحي) أهمية الخطابة في ميدان السياسة تأكيداً شديداً. "القوة التي كانت تدفع بأعظم الموجات الدينية والسياسية في التاريخ هي دائماً قوة النطق السحرية بالكلمة..." و"لا يمكن تحريك أوسع الجماهير إلا بقوة الكلمة، والحركات العظيمة كلها كانت حركات جماهيرية، انفجارات بركانية لعواطف البشر وأحاسيسهم ونوازعهم يؤججها ويزيد سعارها أحد عاملين: إما آلهة العذاب القاسية أو نار الكلمة المضطربة التي تقذف بها الجماهير. إن الكلمة ليست شرية ليمون بصيهاً صباً هيئاً أولئك المتأديون من المتحررين فكراً أبطال قاعات الإستقبال الميامين"^(٦١). ومع إباطه المساهمة فعلياً في سياسة الأحزاب، إلا أنه شرع يدرّب نفسه على الخطابة أمام كل من وجد في دور إيجار قيينا، والمطاعم المجانية ومنعطفات الأزقة. وتسنى له أن يصقل موهبته هذه ويبلغ بها حد الإبداع والسحر المين، وهو ما يشهد له به المؤلف الذي إتفق له وسمع عشرات من أهم خطبه. سحرٌ لا يدانيه فيه خطيب ماثل في ألمانيا ما بين الحربين، يمكن أن يعزى إليه فضل كبير لنجاحه المدهش.

ويأتي اليهود في آخر قائمة تجاربه في قيينا. "في لينز يوجد من اليهود قلة. وفي بلدي لا أذكر أنني سمعت هذه الكلمة طول ما كان أبي في قيد الحياة" وفي الثانوية كان يوجد فتى يهودي "إلا أننا لم نكن نعلق أي أهمية على الأمر... حتى إنني كنت أتوهمهم (أي اليهود) ألمانيا"^(٦٢).

ونحن لانراه صادقاً في هذا إذا قورن كلامه بما كتبه صديقه (أوغست كويتشيك) مستعيداً ذكرى أيامهما معاً في لينز: "عندما إتقيت بأدولف هتلر لأول مرة كان عداؤه لليهود واضحاً. ووجدته خصماً عنيداً للساميين عندما نزحنا الى قيينا. وربما كانت تجاربه في هذه المدينة سبباً في تعميق هذا العداء على أنها لم تكن عامل خلقها فيه"^(٦٣).

يقول هتلر: "ثم حللت في قيينا... وأنا مشغول الفكر بالكثير من إنطباعاتي الأولى... يزهد شظف العيش أنفاسي ويمسك بخناق، فلم أستطع النفوذ بفكري الى أغوار مشاعر الناس في هذه المدينة الضخمة. ومع أن مائتي ألف يهودي كان بين سكانها الذين يناهزون المليونين إلا أنني لم أتبيّنهم... إن اليهود لا يمثلون لي أشخاصاً إلا بديانتهم. لذلك رفضت الحملات الدينية عليهم على أسس من التسامح الإنساني. فهي كغيرها من الحملات الدينية الأخرى لا قيمة لها. وبدت لي لهجة صحافة قيينا المعادية لهم تافهة لاتسمو الى التقاليد الثقافية لأمة عظيمة"^(٦٤).

وذكر هتلر إنه كان يتجول يوماً ما في قلب المدينة: "... وإذا بي وجهاً لوجه أمام شيخ يرتدي قفطاناً أسود تتدلى من قمّة رأسه ظفيرة شعر سوداء. وكان أول ما تبادل الى ذهني أن تساءلت أهذا هو يهودي؟ إذ لا أكتمك أنهم لا يظهرن في لينز بهذا الزي. أخذت أنعم النظر بتأنٍ وحذر وكلما طال تحديقي في هذا الوجه الأجنبي مقارناً سيماً بسيماءٍ وقسماتٍ بقسماتٍ وجدت تساؤلي الأول يتخذ

٦١- المرجع السالف، ص ١٠٧.

٦٢- المرجع السالف، ص ٥٢.

٦٣- كويتشيك المرجع نفسه، ص ٧٩.

٦٤- كفاحي، ص ٥٢.

قالاً مختلفاً حتى رأيتني أقول: أهذا هو ألماني؟" (٦٥)

لا يصعب على المرء أن يحزر جواب هتلر. غير أنه إدعى قبل الجواب أنه قام "بمحاولة تبديد شكوكي بمراجعة الكتب" وسرعان ما دفن نفسه في الأدبيات المعادية لليهود والسامية التي كانت تباع في قسبنا على أوسع نطاق. ثم إنطلق يتجول في الطرقات لملاحظة هذه الظاهرة "بدقة أكثر". يقول: "إنني صرت أرى يهوداً أتى سرت وكلما كثرت مشاهداتي كلما ازدادوا وضوحاً في عيني وإختلافاً عن سائر البشر... وأخيراً صرت أصاب بغثيان وبمبل إلى القيء بمجرد وصول رائحة أصحاب القفاطين هؤلاء إلى خياشيمي" (٦٦). وقال بعدئذ أنه إكتشف "لطخة العار الخلقية في هذا الشعب المختار... أهنك أي شكل من أشكال الدعارة والفجور ولاسيما في الحياة المثقفة خلت من يهودي واحد على الأقل؟ وإن أنت حزت في هذا الدمّل بمضعك حزاً دقيقاً لما وجدت إلا كيكه مثل دودة في جسم متفسخ كثيراً ما يبهرها النور الفجائي!". وهم على حد قوله أول المسؤولين عن الدعارة وسوق النخاسة الأبيض. "لما وجدت لأول مرة في حياتي أن اليهودي يدير هذه التجارة الفاسقة المخزية بقسوة وغلاظة قلب وبدون إحساس بالعار وبحساب دقيق في أرجاء هذه المدينة العظيمة شاعت في فقرات ظهري قشعريرة باردة" (٦٧).

في كثير من هذيان هتلر عن اللاسامية، تجد قدراً من مرض الإنحراف الجنسي، وهو الطابع العام الذي كان يدمغ صحافة قسبنا آنذاك. كما أصبحت فيما بعد الطابع الداعر المفحش لجريدة نورمبرك الأسبوعية المسماة در شتورمر Der Stürmer التي يصدرها واحد من أخلص أصدقاء هتلر هو يوليوس شترايخر Julius Streicher زعيم الحزب في منطقة فرانكونيا Franconia وهو شخص عرف بالإنحراف الجنسي، وبأنه من أقدر شخصيات الرايخ الثالث. وزخر (كفاحي) بأضاليل تافهة عن الساميين البرابرة الذين يغدرون بالفتيات المسيحيات البريئات، فيزنون بدمائهن. وإستطاع هتلر أن يكتب عن "كابوس مريع يتمثل بإغراء مئات الألوف من الفتيات من قبل أولئك اليهود النغولة ذوي الأرجل المقوسة والسحن القبيحة" ويعلل (رودولف أولدن) جذور عداة هتلر للسامية إلى حسده الجنسي المعذب، وكان وهو في مقتبل العقد الثالث لم يعرف عنه أنه إتصل إتصلاً جنسياً بأي صنف من النساء خلال إقامته في قسبنا.

يقول: "وبدأت أبعضهم شيئاً فشيئاً... كان هذا الزمن قد تمخض لي بأعظم ثورة روحية عانيتها. فلم أعد حضرياً واهي الركبتين وأصبحت لاسامياً" (٦٨).

وقدر له أن يبقى على تعصبه الأعمى إلى النهاية المريرة. فأخر وصية له كتبها قبل أن يلاقي حتفه ببضعة ساعات تضمنت آخر إنفجاراته ضد اليهود حين حملهم مسؤولية الحرب التي بدأها هو وختمت على مصيره وأنهت حكم الرايخ الثالث. كُره جائح سرت عدواه إلى كثير من الألمان في تلك

٦٥- المرجع السالف، ص ٥٦.

٦٦- المرجع السالف، ص ٥٦-٥٧.

٦٧- المرجع السالف، ص ٥٩.

٦٨- المرجع السالف، الص ٦٣-٦٤.

الإمبراطورية وأدى بالأخير الى مجزرة بلغت فظاعتها وسعة رقعتها الى الحد الذي تركت ندبة قبيحة شنعاء في وجه الحضارة البشرية ستظل باقية ما بقي البشر على وجه الأرض. في ربيع عام ١٩١٣ ترك هتلر فيينا نهائياً وأقام في ألمانيا "حيث يقيم قلبه" دائماً على حد تعبيره. وكان في الرابعة والعشرين يبدو فاشلاً في الحياة لكل إنسان خلا نفسه. فهو لم يَعدُ رساماً ولا مهندساً معمارياً. لم يكن شيئاً كما هو جلي وظل متشرداً غريب الأطوار كثير المطالعة عديم الأصدقاء والأسرة لا علم له ولا بيت ولا يملك شيئاً سوى ثقة في نفسه لاتتزعزع. وشعور عميق محرق برسالته.

ربما كان تركه فيينا للتملص من الخدمة العسكرية فيها^(٦٩) ليس لجن فيه، بل لأنه كان يكره الخدمة في صفوف جيش يضم أشتاتاً من اليهود والسلافي وغيرهم من الأقليات القومية في الإمبراطورية. وذكر في (كفاحي) أن نزوحه الى مونيخ كان في ربيع ١٩١٢ وهو في ذلك مخطيء لأن سجل الشرطة يشير الى أنه كان مقيماً في فيينا حتى شهر أيار ١٩١٣. وتلوح نغمة العظمة والغرور عند ذكر الأسباب التي دعت به الى ترك النمسا "إن كرهي الداخلي لدولة هابسبورغ كان يتعاظم بإطراد... ومما في صدور لكتل من القوميات التي عرضتها علي العاصمة. عافت نفسي كل هذا الخليط من الجيك والبولنديين والهنغار والروثيين والصرب والكروات. في كل مكان أجد هذا النبات الفطري الطفيلي على البشرية... يهود ومزيد من اليهود. ويدت لي تلك المدينة الجبارة بؤرة للندس العنصري... وكلما طال مكثي فيها كلما زاد حقدتي على هذا الخليط من الشعوب الذي بدأ ينخر في هذا المعقل العتيق من معاقل الحضارة الألمانية... لكل هذه الأسباب بدأ شوقي يزداد ويبث في قوة ويدفعني الى ما كنت أصبو إليه منذ طفولتي... حب غامض وأشواق مستسرة^(٧٠). وفي تلك الأرض التي أحبها كثيراً - قُدر له أن يصبح شخصية لم يحلم قط أن يكونها في أوسع دائرة وصلها خياله ورؤاه.

لقد كان وسيظل حتى قبيل وصوله الى منصب المستشار أجنبياً عن الرايخ الألماني، نمساوي الرعوية

٦٩- خضع الى القرعة العسكرية منذ ١٩١٠ عندما بلغ الحادية والعشرين. ويقول "هايدن" أن السلطات النمساوية لم تكن تستطيع وضع اليد عليه أثناء إقامته في فيينا. وأخيراً تمكنوا من العثور عليه في مونيخ وأمر بالحضور لإجراء الفحص في (لينز) ونشر (جوزيف جراينر) في كتابه "نهاية أسطورة هتلر" طائفة من الرسائل المتبادلة بين هتلر وسلطات التجنيد العسكرية النمساوية. أنكر هتلر نزوحه الى ألمانيا تلمصاً من الخدمة العسكرية. وطلب معتذراً بضيق ذات اليد أن يحولوا دائرة فحصه الى سالزبرج لقربها من مونيخ. وتم فحصه هناك في الخامس من شباط ١٩١٤ فوجد غير صالح للخدمة العسكرية، بل غير صالح لوضعه في صنف الاحتياط - لأسباب صحية ويظهر أنه مازال يشكو من علة صدره. لاشك أن عدم تلبية طلب الخدمة العسكرية - حتى عثور السلطات عليه وقد بلغ الرابعة والعشرين، كان من الأمور التي ضايقتة وأقضت عليه مضجعه عندما صعد نجمه واستطارت شهرته في ألمانيا. وأيد (جراينر) حكاية إنتشرت في الأوساط المعادية للنازية عندما كان المؤلف في برلين. وخلصتها أن هتلر أمر الكشتاوي بعد دخول الجيش الألماني الى النمسا عام ١٩٣٨، بالبحث عن الأوراق الرسمية المتعلقة بخدمته العسكرية. فلم يعثروا على أية أوراق في لينز رغم الجهود مما أثار غضب هتلر. إذ كان قد إنتزعا موظف حكومي وأخفاها ثم أطلع عليها (جراينر) بعد نهاية الحرب.

٧٠- المرجع السالف، ص ١٢٣-١٢٤.

بالمفهوم القانوني. وكان النمساوي الوحيد البالغ الذي فشل في السنوات العشر السابقة لإنهيار إمبراطورية هابسبورغ في مد جذوره بتربة عاصمتها المتحضرة. والوحيد الذي إجتمع فيه كل البغض والتحامل غير المقبول عقلاً، السائد في دوائر متطرفيها الناطقين بالألمانية. والوحيد الذي أخفق في فهم كل ما هو نقيّ طاهر نبيل ونحوها من الفضائل التي تدمغ أغلبية المواطنين الساحقة سواء هم چيك، أو هنغار، أو يهود، أو ألمان. فقراء أم أغنياء، حرفيون أم فنانون. وبهذا وحده يمكن أن يفهم هتلر. ومما يشك فيه كثيراً أن يشارك هتلر في رأيه هذا أي ألماني آخر من الشمال أو من الراين أو من الغرب أو من بروسيا الشرقية أو حتى من بافاريا أو أن يكون في عقله أو دمه ما كان في هتلر من العوامل المختلطة التي دفعت به الى تنمية الأفكار حتى بلغ فيها الذروة. ولنصف الى ذلك كله سمة العبقرية التي صعب التنبؤ بها في حينه.

هذه العبقرية لم يبدر منها شيء في ربيع ١٩١٣. وظل هتلر في مونيخ مفلساً كما كان في فيينا لا صديق له ولا عمل منتظم. ثم اندلعت نيران الحرب في صيف العام ١٩١٤ وأنشبت فيه مخالبها القاسية كما أنشبت في الملايين. وفي ٣ آب ١٩١٤ تقدم بطلب التطوع في الجيش البافاري الى لودفيك الثالث Ludwig III ملك بافاريا، فقبل طلبه وكانت هبةً سماوية هبطت عليه. فأصبح في وسع الأفاق الشاب أن يشبع شوقه الى خدمة بلاده المحبوبة الجديدة عن طريق ما رآه ووصفه بالكفاح في سبيل الحياة "قد يكون كذلك وقد لا يكون!" فضلاً عن فرصة أتاحت له بالتخلص من خيباته وإخفاقاته في حياته الخاصة، وكتب في (كفاحي): "جاءتني تلك الساعات بالخلاص من الهم الذي أناخ عليّ بكلّك في أيام شبابي. ولست أخجل من القول أن حماسة تلك الساعة غلبت على مشاعري فما رأيته إلا وأنا أجتو على ركبتيّ شاكرًا للسماة حسن حظي الذي أبقاني حياً حتى هذه اللحظة... فبالنسبة لي ولكل ألماني بدأت الآن أخطر فترة في حياتي وعاد الماضي نسبياً منسياً بمقارنته بأحداث هذا الصراع المارد الجبار"^(٧١).

والماضي بالنسبة الى هتلر كان سيظل جائماً في الظلال القائمة بكل وضاعته وعزلته وخيبته. وإن عمد فيما بعد الى بناء عقليته وأخلاقه بناءً جديداً. لقد منحته هذه الحرب التي صبّت حمم الموت على رؤوس الملايين نقطة إنطلاق جديدة في الحياة وهو لم يعد الخامسة والعشرين.